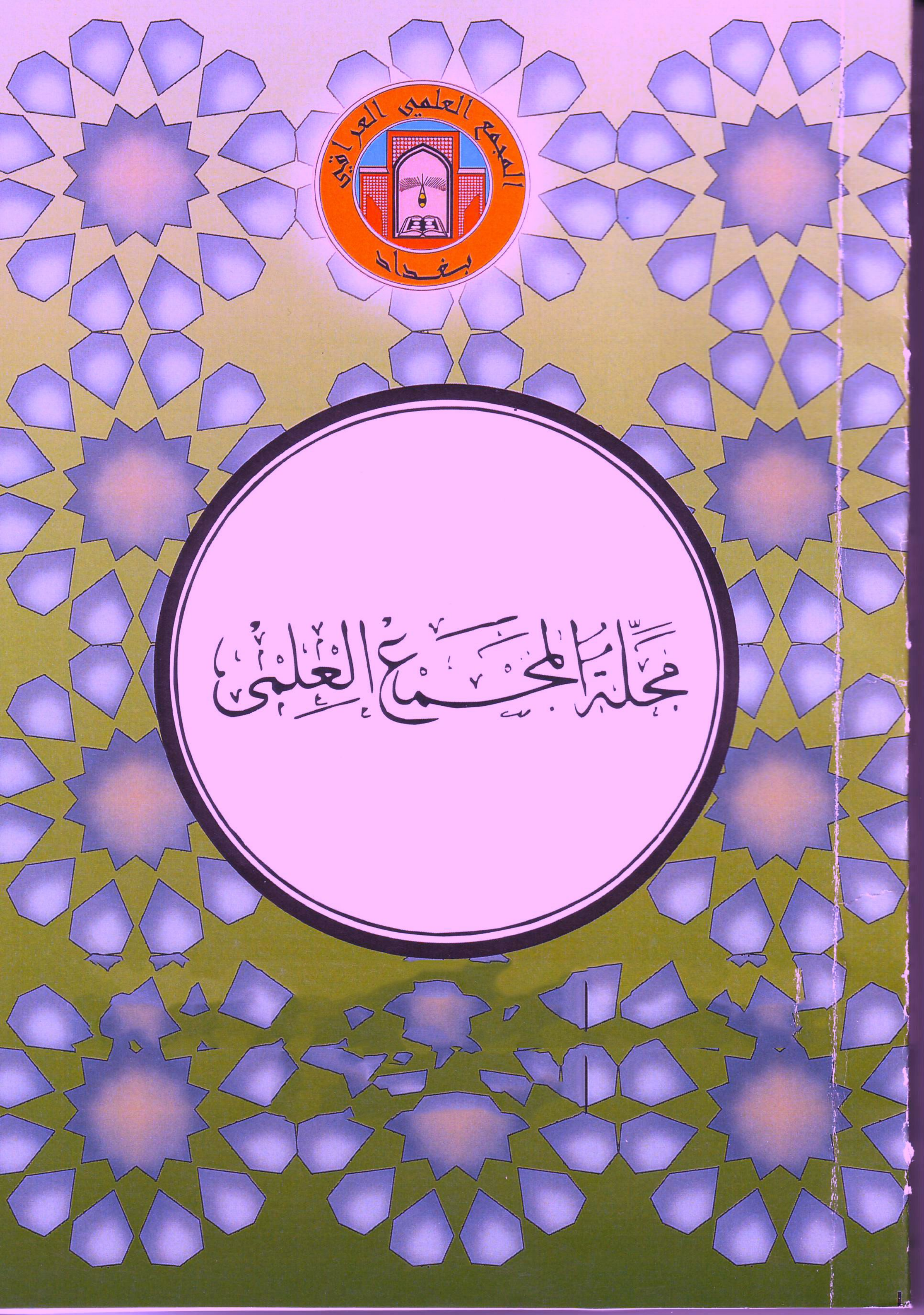

المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي

الجزء الاول ــ المجلد الخامس والخمسون

بغــــداد

١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م

الفهــرس

لغـــة الطفـــل

الدكتور أحمد مطلوب
رئيس المجمع العلمي ـ رئيس دائرتي
علوم اللغة العربية والمصطلحات

الملخص :

تبدأ العناية بلغة الطفل منذ سنواته الأولى ، ثم تتعمق تلك العناية وتزداد وضوحا كلما تقدم عمر الطفل . وكان العرب قد اهتموا بلغة الطفل وأدبه منذ مطلع القرن العشرين ، فنظموا الشعر للأطفال ، وكتبوا المسرحيات ، وألفوا الكتب في لغة الطفل وأدبه . وهذا البحث يعرض بإيجاز ما ينبغي أن تكـون عليه الألفاظ والتراكيب اللغوية التي تقدم للطفل ، ثم الدعوة الى الاهتمام بلغة الطفل لينشأ نشأة سليمة من حيث لغته والتعبير بهـا عـن مقاصـده بدقـة وسلامة ووضوح .

المقدمـــة :

(١)

كان الغرب سباقـا إلى الاهتمام بلغـة الطفـل وأدبـــه فـي العصـر الحديث ، ولم يكن للعرب القدامى اهتمـام بذلك ؛ لأنهم صـرفوا جهـودهم للحفاظ على سلامة اللغة العربية ، ووضع القواعد التي تصونها من اللحـن

والانحراف . وكان رفاعة الطهطاوي أول من اهتم بأدب الاطفال في العصر الحديث ، معتمدا على ترجمة ما لدى الغرب من أدب الأطفال ، وتوالى الاهتمام بهذا اللون من الأدب ، وصدرت قصائد وقصص كثيرة في هذا الحقل ، وكان أحمد شوقي من أوائل الشعراء العرب الذين التفتوا إلى شعر الأطفال فنظم القصائد الطريفة في موضوعات مختلفة، ودخل بعضها في كتب القراءة إلا أن معظمها كان فوق مدارك الأطفال لما فيها من ألفاظ صعبة أو غريبة ، ولما فيها من معان لايدركها الطفل إلا بعد أن يتقدم به العمر.

وسار على نهجه محمد الهراوي الذي زوّد كتب القراءة في المرحلة الابتدائية بقصائد ترنم بها الأطفال والتلاميذ ، وإن كان بعضها بعيدا عن مدارك الأطفال .

وعني معروف الرصافي بهذا اللون من الشعر ، وصدر له في القدس سنة ١٩٢٠م كتاب " الأناشيد المدرسية " ، وأصدر بعده " تمائم التربية والتعليم " ، وقصائد هذه المجموعة فوق مستوى مدارك الصغار ، وقد أقر الشاعر بذلك فقال : " لقد نظمتها للتلاميذ واخترت لهم فيها الموضوعات والأغراض المنوعة ، ولكني مهما حاولت أن أنزل إلى مستواهم في البيان، وأكلمهم باللغة التي تناسب مداركهم لم أقدر . فالكتابة للصغار عسيرة حقا ".

ونظم بعض الشعراء قصائد للأطفال غير هؤلاء الثلاثة ، وذلك بعد أن وجدوا حاجة الأطفال والصغار إلى شعر يهز مشاعرهم فيطربون للنغم العذب الجميل ، فضلا عن حاجة مؤلفي كتب الأطفال إلى الشعر الذي هو أكثر تأثيرا من النثر في نفوس الأطفال .

وازدهر مسرح الطفل ، فكان للمسرحية الشعرية نصيب من الاهتمام وقد نظم عبد الستار القرغولي "مسرحيات لافونتين و "روايات من تأريخ العرب" وقد مثلت على مسرح الرياض والمدارس الابتدائية ، وكان لها وقع كبير؛ لأنها واكبت النهضة العربية ، وحركت المشاعر القومية .

وانصرف سليمان العيسى بعد أن أدى دوره النضالي إلى أدب الأطفال ، فأصدر "ديوان الأطفال" الذي قيل إنه "أول ديوان في الأدب العربي يكتب للأطفال" ، وأصدر سنة ١٩٦٩م " المستقبل " ثم أصدر سنة ١٩٧١م " النهر " ، وهما مسرحيتان شعريتان غنائيتان للأطفال ولاهتمامه بأدب الصغار أُطلق عليه ــ أو أطلق هو على نفسه ــ اسم شاعر الأطفال " وهو ما كان يوقع به عند إهدائه "المستقبل" لأطفال أصدقائه .

ولم يكن الشعر وحده لونا من ألوان أدب الأطفال ، فقد نافسته القصة التي هي أكثر تأثيرا في نفوس الصغار من الشعر الذي يطربهم ، ولكنه لايشوقهم كثيرا كما تشوقهم القصة ولاسيما الخيالية التي كانت الأمهات يسردنها ليبعثن السرور في نفوس الصغار، قبل أن يأخذ الكرى بمعاقد الأجفان .

وفي الوطن العربي كثير من كتاب القصة للأطفال، وتحفل مجلات الصغار بألوان شتى من القصص التي تعبر عن محيط الطفل أو تحرك خياله . ولعل كامل كيلاني وسعيد العريان من أقدم الكتاب الذين اهتموا بأدب الصغار.

واستمر الشعراء في نظم القصائد، وأخذ الكتاب في صياغة القصص ، وانبرى المؤلفون يضعون كتبا تعلم فن الكتابة ، إذ ليس من السهل اليسير نظم قصيدة ، أو كتابة قصة ، أو تأليف كتاب للأطفال والصغار ، فكم يعاني مؤلفو الكتب من المشاق ، وبذل الجهد ، وإعادة الكتابة

حين يوكل إليهم تأليف الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية ، ولاسيما السنوات الأربع الأولى . ولايقل صعوبة تأليف كتب مرحلة التعليم العام على الرغم من القدرة اللغوية، والعلمية ، والمهارة الفنية التي يتمتع بها المؤلفون، وما ذلك إلا أنهم ــ كما قال الرصافي ــ لايستطيعون النزول إلى مستوى مدارك الصغار ، فتأتي الكتب صعبة في لغتها ومادتها، ويتعالى صوت النقد ، وتغير الكتب ، ويعهد إلى مؤلفين جدد القيام بذلك ، ويبقى النقد ، وتحار وزارات التربية وتردد مع نفسها " فدلوني بمن أثق ".

(٢)

لقد انصب الاهتمام في القرن العشرين على أدب الأطفال ، ولم تحظ لغته بدراسات مستفيضة تبين خصائصها ، وما ينبغي أن تكون عليه ، ولعل كتاب "اللغة عند الطفل" للدكتور صالح الشماع أقدم دراسة علمية صدرت سنة ١٩٥٥م ، وهو رسالة جامعية اهتمت بالتنظير وعرض آراء الغربيين أكثر من اهتمامها بالتطبيق . وأخذ الاهتمام بلغة الطفل بمنظور يختلف عن كتاب الدكتور الشماع ، منظور يجعل أدب الأطفال محورا للكلام على لغته ، وكان كتاب " اللغة في أدب الأطفال " للدكتور محمد رشدي خاطر ــ صدر سنة ١٩٧٦م ــ من الكتب التي اهتمت بلغة الطفل من خلال الأدب المكتوب له .

ومهما يكن من أمر ، فانه لم تكن العناية كبيرة بلغة الطفل وأدبه ، بخلاف الأجانب الذين يزرعون في قلوب الصغار حب اللغة منذ عهد مبكر من أعمارهم ، مستعينين بالكتب المصورة قبل أن يكمل الطفل الرابعة ، ثم

يوجهونه بعد ذلك إلى اللغة المكتوبة بما يناسب سنه ، وبذلك ينشأ في نفسه التعلق بلغته ، وحب القراءة ، والتزود من المعارف .

(٣)

إن نظم الشعر ، وكتابة القصص ، وتأليف الكتب للأطفال ليس بالأمر السهل اليسير ، ولذلك يجب أن تراعى كثير من الأسس التي تعين على ذلك . ومن المؤسف أن كثيرا مما نظم أو كتب كان بعيدا عن مدارك الأطفال بل الصبيان ؛ لأن أيا من الناظم ، أو الكاتب ، أو المؤلف لم يستطع أن يعبر باللغة التي يفهمها الطفل ، ولم يعرض الفكرة بأسلوب يدركه الطفل، فكانت الشكوى من أدب الأطفال الذي لاينسجم وسني الصغار ، وكان النقد عنيفا لكتب المرحلة الابتدائية ؛ لأنها لاتناسب هذه المرحلة، وامتدت الشكوى إلى كتب التعليم العامة كله، بل إلى كتب التعليم الجامعي حيث التعقيد اللغوي ، والابهام العلمي .

إن لغة الصغار غير لغة الكبار ، ويمكن تصور الكلمات الملائمة للطفل بأن تكون :

أولا: عربية فصيحة ، ليتعود الطفل على استعمال الفصيح مبكرا ، ومما يدعو إلى هذا أن معظم أطفال الوطن العربي يفهمون الفصيح اكثر مما يفهمون المحكي في غير محيطهم . ولعل تجربة " افتح يا سمسم" خير مثال على ذلك ، إذ صيغت الجمل والعبارات من كلمات يعرفها الطفل العربي في بيئته ، وذلك أن عمد المسؤولون عنه على استقراء الكلمات المشتركة في محيط الأطفال العرب واستعمالها فيما قصدوا إليه . ومثل ذلك " الصور المتحركة " ــ الكارتون ــ إذ يفهم الحوار فيها معظم

الأطفال إذا كانت بالعربية الفصيحة ، ولايفهمونها حين تكون بلغة بيئة أخرى ليس لهم بها معرفة أو اتصال .

ثانيا: ثلاثية ليسهل النطق بها ، ومعظم الكلمات العربية ثلاثية ، وهو ييسر اختيار الكلمات المناسبة للأطفال . وكان البلاغيون والنقاد العرب يفضلون الألفاظ الثلاثية، وينفرون من الكلمة الكثيرة الحروف . وقد قال ابن سنان الخفاجي وهو يضع شروط اللفظة الفصيحة : " أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف ، فانها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة ". والطفل أولى أن يراعى له اختيار الكلمات القليلة الحروف .

ثالثا: مركبة من حروف يسهل النطق بها ؛ إذ بعض الأصوات اللغوية تحتاج إلى تحريك عدد أكبر من العضلات للنطق بها ؛ وهذا ـ ربما ـ يصعب على الطفل أن ينطق بها. وقد يظهر هذا في الكلمات المعربة التي تألفت من حروف متنافرة ، لاتقرها العربية السليمة كاجتماع القاف والجيم ، والجيم والقاف ، والسين والصاد ، والصاد والسين ، والسين والزاي ، والزاي والسين ، والزاي والصاد ، والصاد والزاي ، وهذا ليس من كلام العرب كما قال ابن سنان الخفاجي .

رابعا: حسنة الوقع على الأذن ليأنس بها الطفل ، فان " للألفاظ في الآذان نغمة لذيذة كنغمة أوتار" كما قال ضياء الدين بن الأثير .

خامسا: واضحة المعنى قريبة من مدارك الأطفال، وقد قيل : إن أحمد شوقي ابتعد عن لغة الأطفال في قصائده التي نظمها للصغار. ووقع في مثل هذا بعض من كتب للأطفال كالشاعر سليمان العيسى الذي شرح بعض معاني الكلمات في حواشي صفحات مسرحية "المستقبل" ، لأنها بعيدة عن مدارك الأطفال ، أو أنها غريبة لم يألفوها .

سادسا: مستعملة في أنحاء الوطن العربي لتتوحد لغة الأطفال وتجربة "افتح ياسمسم" خير مثال ؛ لأنها عبرت عن المحيط المشترك للأطفال العرب .

سابعا: وضعية ؛ لأن الطفل لايدرك استعمال الكلمة في غير ما وضعت له في أصل اللغة العربية ، فلا تستعمل كلمة (العين) مثلا للدلالة على المخبر أو الجاسوس ، ولاتستعمل (اليد) بمعنى النعمة، أو القوة ؛ لأن هذه معانٍ مجازية لايدركها الطفل إلا بعد سنوات .

أما صياغة الجمل والعبارات فيراعي فيها أن تكون :

أولا: موافقة للرتبة اللغوية ، ليس فيها تقديم وتأخير غير ضروري ومهم ، أو جمل اعتراضية تحدث تعقيدا لفظيا ومعنويا ، وهذا مايتجنبه الكبار بله الصغار.

ثانيا: منسابة لها إيقاع جميل ، ليس في الشعر وحده ، وإنما في النثر أيضا؛ لأن الطفل يأنس بالإيقاع ويطرب له . وانسياب العبارة مما يجعل الطفل قادرا على النطق بها وترديدها ، فهي كما قال الجاحظ : " تجري على اللسان كما يجري الدهان ".

ثالثا: قصيرة ، ويفضل أن تتركب من كلمتين أو ثلاثة ، فيقال مثلا : "الشمس طلعت" أو "طلعت الشمس" ولايقال : "طلعت الشمس بعد غياب طويل ففرح الناس بها".

رابعا: ذات دلالة واضحة ، فلا تصاغ جمل أو عبارات صحيحة نحويا ، وليس لها معنى ، وكان سيبويه قد فرق بين المستقيم الحسن والمحال ، والمستقيم الكذب ، والمستقيم القبيح وماهو محال كذب .

خامسا: التقليل من استعمال الضمائر المتصلة لأنها تعود إلى متقدم ، يعد غائبا عند الطفل. فيقال مثلا : "جلس خالد بين أحمد محمود بدلا من

نيهم . وإن مرّ اسماهما من قبل ، و"كتب خالد الدرس بدلا من "درسه" ؛ لأن الطفل يسمع دائما كلمة "الدرس" فيقول له والداه أو معلمه : "اكتب الدرس" .

سادسا: التقليل من استعمال الظروف المنصوبة ، فلا يقال : "سافر خالد ليلا" بل يقال : "سافر في الليل" لأن الطفل في مراحله الأولى يستعمل الظروف كما هي : "الصباح" – "الظهر" – "العصر" – "المساء" – "الليل" ولايستعملها منصوبة على الظرفية .

سابعا: التقليل من استعمال الحال منصوبا مفردا ، أو مقدرا جملة ، فيقال : "جاء خالد يمشي" لا "ماشيا" أو "وهو يمشي" ؛ لأن استعمال الصيغ النحوية غير مألوفة لدى الطفل ، ولن يدركها إلا حين يتقدم به العمر .

ثامنا: الاكتفاء بالمشهور من أدوات الاستفهام والنفي ، واختيار مايتلفظ به الطفل ، ومايشترك فيه الأطفال العرب والشائع بينهم مثل : "أين" و "متى" و "كيف" في الاستفهام ، و "لا" في النفي .

تاسعا: إرجاء استعمال الشرط إلى سن متقدمة لما فيه من قواعد لايدركها الطفل ، وإن كان يستعمل هذا الاسلوب في خطابه اليومي أحيانا .

عاشرا: تجنب العبارات المجازية في المراحل الأولى من عمر الطفل . فلا يقال ــ مثلا ــ : "جنحت الشمس الى الغروب" بل يقال : "غابت الشمس" . وقد وقع هذا في كثير من أدب الأطفال ، فاضطر الشعراء والكتاب الى توضيح العبارة في الحاشية ، كما فعل سليمان العيسى في مسرحية "المستقبل" .

هذه بعض سمات الكلمة وتركيب الجمل والعبارات وفي ضوئها يكتب أدب الأطفال ، فنختار للشعر ألفاظ لها إيقاع مطرب وجرس موسيقى جذاب ، ويختار مجزوء بحر الرمل ، أو مجزوء بحر الرجز لقصر

المحزوء ، ولما في بحري الرمل والرجز من إيقاع يطرب له الأطفال ، أما البحور الكاملة فيصعب على الطفل ترديدها لأنها تحتاج إلى جهد لايمتلكه في سنواته الأولى .

ولاتخرج لغة القصة عن لغة الشعر من حيث جمال الألفاظ وحسن ايقاعها ووضوح معانيها ، ويصدق هذا على تأليف الكتب المدرسية في السنوات الأربع الأولى من المرحلة الابتدائية .

إن اللغة عند الطفل تنمو كما ينمو هو ، فاذا ماتجاوز السابعة من عمره زيد في ثروته اللغوية، وطولت الجمل والعبارات لتعبر عن المعارف الجديدة ، لأن الجمل القصيرة في هده المرحلة لاتعبر عن المستجدات وعما يريد الطفل وقد نمت معارفه ومداركه . حتى إذا ما بلغ العاشرة من عمره أصبح قادرا على التعبير بنفسه عما يحس به ، وفي هذا الوقت تذكر له بعض القواعد النحوية لتعينه على تركيب الجمل والعبارات بدقة ، على أن تذكر له القواعد الضرورية باسلوب سهل واضح ، لأن إثقاله في هذه السن بما تزخر به كتب النحو المدرسية الآن يؤدي إلى نفوره من النحو ، وكان الجاحظ قد حذر من هذا فقال في رياضة الصبي : وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر مايؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه ، ومازاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أردّ عليه منه من رواية المثل والشاهد ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع".

لم يكن هذا التصور بعيدا عن الشعراء والكتاب والمؤلفين ، إذ وثق كثير منهم في استعمال اللغة القريبة من مدارك الأطفال ، وكادت لغة الأطفال في الوطن العربي تتوحد في النصف الثاني من القرن العشرين بفضل :

أولا: انتشار الوعي القومي في الوطن العربي، ونشأة الصغار في ظل هذا الوعي الذي أرجع للعرب مكانتهم بين شعوب الأرض .

ثانيا: الاهتمام بالعربية التي نزل بها القرآن الكريم .

ثالثا: كثرة ماكتب في أدب الأطفال من شعر وقصص ومسرحيات ، وتوجه بعض الأدباء الى الأطفال وانتاج ما يروق لهم من أدب يسليهم ، ويؤنسهم ، ويكسبهم اللغة والمعارف ، ويحبب اليهم الأوطان .

رابعا: اهتمام وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بلغة الضاد مسايرة للوعي القومي في ذلك الحين .

خامسا: العناية بمسرح الطفل، وتقديم المسرحيات بلغة فصيحة تلائم الصغار.

سادسا: إصدار مجلات خاصة بالأطفال .

سابعا: تقديم جوائز للأطفال الذين يشتركون في المسابقات وإلقاء الشعر والخطب في الاحتفالات والمناسبات القومية والوطنية .

وتكاد بعض عقود القرن العشرين تكون من أكثر العقود ازدهارا في العناية بلغة الطفل وأدبه ، وباللغة العربية عامة لأنها من أهم مقومات وحدة العرب ، ولم يبق ذلك الازدهار ، ولم تظل العناية بالعربية قائمة ، إذ بدأ الكرى يلف الصحوة اللغوية منذ العقد الأخير من القرن الماضي ، لأسباب منها :

أولا: العولمـــة التي من أهداف دعاتها السيطـرة على العالم ، والقضاء على اللغات القوميـة ، والثقافــات الوطنيـــة ، والاســتقلال السياســي والاقتصادي، وتغييــر طبيعــة المجتمعات البشريـة ، وقــد ظهــر تأثيرها في السنوات الأخيرة .

ثانيا: التوجيه ـ الداخلي والخارجي ـ نحو اللغات الأجنبيــة، والاســتهانة بالعربية من بعض المسؤولين والخارجين على الأمة العربية .

ثالثا: إيمان بعض المثقفين الذين تنكروا لأمتهم ووطنهم بأن لامستقبل للعرب إلا باللغات الأجنبية ؛ لأن لغة القرآن تخطاها العصر .

رابعا: نشاط المراكز الثقافية الأجنبية والدعاية للغاتهــا وثقافاتهــا ، وتقــديم الجوائز لمن يكتب بها أو يؤلف، كما تفعل الفرنكفونية الآن .

خامسا: عودة الدعوة الى الاقليمية وتجزئة الوطن الواحد، وإحياء مــا عفــى عليه الزمن ليكون سمة تميز وترسيخ كيان . وظهر لأجل ذلك منتفعون يضعون المعاجم ويؤلفون الكتب ليعززوا دعاة الاقليمية والتجزئة على الرغم من أن الوطن العربي كله لايكوّن إلا دولة واحــدة ، بــالمفهوم القومي والعقائدي والفكري والمصيري .

إن هذه الأسباب ظاهرة للعيان ، ولكن الكثيرين لايجرؤون على كشــف واقع اللغة العربية ، لأن كشفها يثير الفزع ويبعث اليأس في النفوس كما فعل أحد الأساتــذة الكبار حين صور واقع العربية في بيئته والألم يــدمي قلبــه ويفجر فيــه الأحزان .

إن كل الأمم تعتز بلغاتها القومية ولاتفرط بها ، ولاتتحدث أو تكتب أو تؤلف بغيرها إلا في حالات معينة تفرضها الظروف كالدراسة في الخارج ، أو متابعة ما يكتب في علم من العلوم بإحدى اللغات الأجنبية . وقد وصلت الاستهانة بلغة القرآن الكريم الى أن بعض العرب يتحدث بلغة أجنبية في إذاعة عربية أو تبث بالعربية ، ويترجم المذيع ما يقوله العربي المتنكر لأمته ولغتها ، على الرغم من إتقانه العربية ، وقد يكون متخصصا باللغة العربية وآدابها ، ومتخرجا في إحدى الجامعات العربية ، ومن العرب الأقحاح كما يقول . ورحم الله الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) حين قال وهو متوجه الى بغداد عبر صحراء بادية الشام سنة ١٩٣٦م :

بغداد ما حمل السرى   مني سوى شبح مريب

جفلت له الصحراء والتفت الكثيب الى الكثيبِ

وتنصتت زمر الجنادب من فويهات الثقوب

يتساءلون وقد رأوا   قيس الملوح في شحوبي

والتمتمات على الشفاه مضرجات بالنسيب

تبكي لها قبل الصبا   ويذوب فيها كل طيبِ

يتساءلون من الفتى العربيّ في الزي الغريب

وأسرف قوم في النكاية باللغة العربية وأنشأوا رياضا ومدارس يلقنون فيها الأطفال والتلاميذ اللغة الأجنبية ، ويدرسونهم بها، على الرغم من دعوات الحكومات العربية الى التعريب فضلا عن المجامع العلمية واللغوية

العربية . ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي التي تعمـــل مـــن أجـــل التعريب والعناية بلغة الضاد .

كل هذا يجري على الرغم من تلك الدعوات، وما يقوله التربويـــون فـــي تعلم اللغات الأجنبية ، إذ الأصل أن يبدأ الطفل بتعلم لغة قومه ؛ لأن تعلمـــه بلغة أجنبية يفقده هويته القومية والوطنية ، وان الجمع بينها وبين لغته — إن حصل ذلك في عهد الطفولة ـــ يضعه في مفترق الطرق ؛ لأنه من الصعوبة تعلم أكثر من لغة في آن واحد ، لأنهـــا تتـــداخل ويجـــور بعضـــها علـــى بعض . وقديما قال الجاحظ وهو يتحدث عن الترجمان: "ومتى وجدناه قد تكلم بلسانين علمنا أنه أدخل الضيم عليهما ؛ لأن كل واحدة من اللغتـــين تجـــذب الأخرى ، وتأخذ منها ، وتعترض عليها" ، وهذا يخـــص الكبـــار ، فكيـــف الصغار؟ وتعلم اللغة الأجنبية مهم، ولكن لا على حســـاب اللغـــة الأم منـــذ الطفولة ، وإنما يكون بعد أن يتقن الانسان لغتـــه ، ويرى أنه بحاجة الى تعلم لغة أجنبية لأمر من الأمور التي تقتضيها الحياة المعاصرة .

إن اللغة كيان الأمة ووعاء حضارتها، وهي التي تكوّن شخصية الانسان وتظهر سماتها ، ولم يتقدم العرب قديما لولا ازدهار لغتهم واستيعابها الآداب والعلوم والفنون وتعبيرها عن المستجدات ، فالحفـــاظ عليهـــا، والاعتـــزاز بها ، والسعي الى تنميتها ، والأخذ بها في مجال الحياة يجعلها زاهرة ، ولكن قبل هذا كله لابدّ من الاهتمام بلغة الطفل وأدبـــه لينشأ محبـــا للغته ، معتـــزا بأمته ، مرتبطا بوطنه ، واثقا بنفسه ، وليس هذا بعزيز إذا ما اهتم العـــرب بلغتهم ، ورعوها حـــق الرعاية وكانوا لها مؤمنين .

نصوصٌ من كتاب (لحن العامة) لأبي حاتم السجستاني
جمعٌ وتوثيقٌ ودراسةٌ

الدكتور عامر باهر الحيالي
جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية

الجزء الأول / الدراسة

الملخص :

يعنى هذا البحث بجمع نصوص من كتاب أبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) المفقود ، الموسوم (لحن العامة) ، وذلك من خلال استقراء المعجمات العربية وكتب اللغة والنحو ، ومن ثم محاولة توثيق نسبة هذه النصوص الى هذا الكتاب ، وبخاصة تلك التي تخلو من الإشارة الصريحة الى خطأ العامة ؛ لذلك اجتهدت وضع معايير لأميز من خلالها نصوص هذا الكتاب من نصوص كتب أبي حاتم الأخرى ومروياته اللغوية ، وبعد إخضاع النصوص المجموعة كلها للمعايير التي وضعتها تساوق مئة وسبعة وستون نصا منها مع تلك المعايير .

وقبل أن أقدم النصوص المجموعة موثقة من مظانها المعتمدة ، ومرتبةً حسب نظام حروف المعجم ، عقدت دراسة تناولت فيها توثيق نسبة الكتاب الى أبي حاتم وعنوانه ، وموارد هذه النصوص ، والمعايير التي اعتمدت عليها في ترجيح نسبة النصوص وتوثيقها . لا شك في أن جمع هذه النصوص المتناثرة في كتب اللغة والمعجمات يعد خطوة بالاتجاه الصحيح ؛ لأنه يمثل خدمة متواضعة للغة الضاد ؛ بتسليطه الضوء على كتاب مهم من كتب لحن العامة ، الذي تكشف نصوصه عن التغيير الذي لحق بنى الألفاظ العربية ودلالتها وأصواتها وتراكيبها على مدى القرنين الأول والثاني ومنتصف القرن الثالث للهجرة ، ودور علمائنا الأفذاذ في مواجهة هذا التغيير الطارئ على لغتنا ، وكيفية التعامل معه بوصفه واقعاً لغوياً فرضه التطور الذي طرأ على الحياة العربية في شتى مجالاتها ، بما يحفظ للغة العربية سلامتها ، وذلك بتنقيتها من آثاره التي يمكن أن تلحق الضرر بها ، والله من وراء القصد .

المقدمـــة :

إنّ جمعَ نصوصِ كتابٍ مفقود وتوثيقها لا يقل أهميةً عن تحقيق مخطوطٍ نادرٍ لكتابٍ من الكتب ، لا بل إنّ جامعَ النصوص يواجهُ صعوباتٍ قد لا يواجهها محققُ المخطوط ؛ لأنّهُ كمن يسير في طريق طمست آثاره ، ولم يبقَ منه سوى معالمَ قليلةٍ متفرقةٍ ، معلم هنا ومعلم هناك ، على عكس المحقق الذي تكون معالمُ الطريقِ لديهِ واضحةً لا تحتاج إلاّ إلى همّةٍ لمواصلة الدرب إلى منتهاه .

لا أُريد بهذه الكلمات أنْ أُقللَ من جهد المحقق ، فهو لا شكَّ مضنٍ وشاقٌّ ، ويحتاج إلى صبر ومكابدة لا تتأتى إلاّ لذوي العزم والإرادة ؛ لكنني أُريدُ أنْ أَخلصَ من هذا كلّه إلى القول : إنَّ ما قمتُ به في هذا البحث من جمع نصوص من كتاب أبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) المفقود الموسوم (لحن العامة) حتّمَ عليَّ أنْ استقري عشرات المجلدات من كتب اللغة والمعاجم ، منها ما استقريتها استقراءً تاماً صفحةً صَفْحَةً ، وسطراً سطراً ، ومنها ما استعنتُ بفهارسها ، ومنها ما استعنت بالحاسوب في استقرائها.

وعندما استكملت عمليةَ الجمع ، وبعد فرز النصوص المكررة في أكثر من مصدر ، كانت حصيلة هذا الجمع أكثرَ من مائتين وخمسين نصّاً نقدياً ، تأكد لديَّ أَنَّ أكثر من خمسها تؤول إلى كتاب (لحن العامة) ؛ لوجود إشارة صريحة إلى أنها قد أُخذت منه ، لكن كيف لي أنْ أعرف أَنَّ بقية النصوص المجموعة تؤول إلى الكتاب نفسه ؟ هنا كان لابد لي من أجل أن أكون موضوعياً ودقيقاً أنْ أَضع لنفسي معايير تستند إلى منهجية البحث العلمي ، لتكون مناراً اهتدي به إلى اختيار المسارات الصحيحة لتحديد صحة نسبةِ النصوص إلى كتاب(لحن العامة) من عدمها .

وبعد إخضاع النصوص كلها للمعايير التي وضعتها ، تساوق مئة وسبعة وستون نصًّا منها مع تلك المعايير ، فضلاً عن سبعة عشر نصّاً أُخرى مَعْزُوّة إلى أبي حاتم ، لكنها لا تتساوق مع أيّ معيار ، ولم أجدها في كتبه المطبوعة؛ لذا وضعتها في (لحقٍ) خاص بها ، لعلها تؤول إلى كتاب (لحن العامة) ؛ لأنها تمثل مرويات لأبي حاتم فيها منعُ استعمالاتٍ معينةٍ باستعمال الثنائيةِ التصحيحيةِ (يقالُ.. ولا يقالُ) .

وقبل أنْ أقدمَ النصوصَ المجموعةَ موثقةً من مظانها المعتمدةِ ، ومرتبةً حسب نظام حروف المعجم عقدت دراسةً تناولت فيها توثيقَ نسبةِ الكتاب إلى أبي حاتم و عنوانه ، وموارد هذه النصوص ، والمعايير التي اعتمدت عليها في ترجيح نسبتها وتوثيقها .

إن جمع هذه النصوص المتناثرة في كتب اللغة والمعجمات يمثل خدمة متواضعة للغة الضاد ؛ لأنه يسلط الضوء على كتاب مهم من كتب لحن العامة ، الذي تكشف نصوصه عن التغيير الذي لحق بنى الألفاظ العربية ودلالاتها وأصواتها وتراكيبها على مدى القرنين الأول والثاني ومنتصف القرن الثالث للهجرة ، ودور علمائنا الأفذاذ في مواجهة هذا التغيير الطارئ على لغتنا ، وكيفية التعامل معه بوصفه واقعاً لغوياً فرضه التطور الذي طرأ على الحياة العربية في شتى مجالاتها ، بما يحفظ للغة العربية سلامتها ؛ وذلك بتنقيتها من آثاره التي يمكن أن تلحق الضرر بها . ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أكرر ما قاله ابن خلدون في مقدمته : ((إنه إن تحقق القصدُ هذا فذلك من توفيق الله، وإن لم يتحققْ فالرجاءُ من الناظرِ الكريمِ أن يصلحَ ما فاتَ)) . ومن الله نستمد العون والسداد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

مصادر النصوص :

في أثناء بحثي عن موارد النقد اللغوي في معجمات القرن الرابع للهجرة[1] وجدت أصحابها يستمدون نقدهم للعامة من أبي حاتم في سبعة وثمانين موضعا ، ورجحت في تلك الدراسة أن كثيراً من تلك النصوص يؤول إلى كتاب أبي حاتم (لحن العامة) ، وحاولت التحقق من هذه المسألة بالرجوع إلى كتب لحن العامة ، ومن عني بدراستها من المعاصرين ، فوجدت ضالتي في كتاب (لحن العامة والتطور اللغوي) للدكتور رمضان عبد التواب الذي أكد أنَّ هذا الكتاب مفقود ، وأورد تسعة وثلاثين نصاً في لحن العامة مروية عن أبي حاتم وجدها في كتب اللغة والمعجمات ، وظنَّ أنها مأخوذة عن كتابه ذلك[2] . ومثله فعل الدكتور عبد العزيز مطر في كتابه (لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة)[3]، إذ أورد ثمانية نصوص أكد أنها منقولة عن الكتاب نفسه ، وكلها من ضمن ما أورده الدكتور رمضان عبد التواب .

وحين شرعت في جمع نصوص كتاب أبي حاتم ، الذي عُقِدَت هذه الدراسة من أجله رأيتُ أنَّ المسار الصحيح لجمع هذه النصوص يحتم عليّ أن اطلع على ما كتب عن حياة أبي حاتم[4] ؛ لمعرفة مؤلفاته وما كتب

---

[1] ينظر: النقد اللغوي في معجمات القرن الرابع للهجرة: ٤٢ ــ ٤٣.

[2] ص٣٩ وما بعدها .

[3] ص ٧٧ــ٧٩ .

[4] طبقات النحويين واللغويين: ص١٠٠، ومعجم الأدباء: ١١/١٦٣، والفهرست:٦٤ وأنباه الرواة : ٢/٥٨ ، وبغية الوعاة :٦٠٦/١ ، وتاريخ الأدب العربي بروكلمان :١٦٠/٢ ونزهة الالباء : ١٨٩ .

عنها، ولمعرفة تلاميذه ، لأعود إلى مؤلفاتهم ، ومؤلفات من أخذ عنهم ، لعلي أجد ما أنا بصدد البحث عنه من نصوص ، وهكذا توسعت دائرة البحث لتكون المصادر التي وجدت فيها نصوصاً منسوبة إلى أبي حاتم ، تتساوق مع معايير الجمع التي وضعتها لنفسي سبعة وعشرين مؤلفاً تمثل أكثر من مئة وثلاثين مجلداً ، فضلاً عن معجمات أخرى جردتها ولم أعثر فيها على نصوص تخضع لمعايير الجمع ، منها ديوان الأدب للفارابي (٣٥٠هـ) ، و(مختار الصحاح) للرازي(٦٧٠هـ) ، و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي(٨١٧هـ) وغيرها . والجدول الآتي يوضح أسماء المعجمات وكتب اللغة التي تمثل مصادري التي حصَّلْتُ منها نصوصاً تؤول إلى كتاب (لحن العامة) لأبي حاتم ، وقد رتبتها حسب كثرة ما ورد فيها من نصوص :

مصادر نصوص كتاب لحن العامة :

الكتاب	عدد أجزائه	عدد النصوص	الملاحظات
تهذيب اللغة	١٥	٦٦	أخذها من كتاب أبي حاتم
تاج العروس	٢٦	٤٠	أغلبها من التهذيب
لسان العرب	١٥	٣٩	أغلبها من التهذيب
لحن العامة والتطور	١	٣٩	أخذها من المعجمات
الشوارد في اللغة	١	٣٥	أخذها من كتاب أبي حاتم
البارع في اللغة	١	٢٠	أخذها من كتاب أبي حاتم
لحن العوام	١	١٢	أخذها من كتاب أبي حاتم
معجم ما استعجم	٤	١٠	أخذها من كتاب أبي حاتم
جمهرة اللغة	٣	٩	أخذها من كتاب أبي حاتم

المصباح المنير	٢	٩	أغلبها من التهذيب
لحن العامة في ضوء	١	٨	أخذها من المعجمات
تثقيف اللسان	١	٨	أخذها من كتاب أبي حاتم
تصحيح التصحيف	١	٧	أخذها من كتاب أبي حاتم
الاقتضاب	٣	٥	
مقاييس اللغة	٦	٤	
معجم البلدان	٥	٤	ثلاثة منها في التهذيب
المغرب	٢	٤	كلها وردت في التهذيب
التلخيص	٢	٣	
العباب الزاخر	٥	٣	موجودة في التهذيب
مجمل اللغة	٥	٢	
الصحاح	٦	٢	
المحيط في اللغة	١١	١	
طبقات النحويين	١	١	
ذيل الأمالي	١	١	
المخصص	٥	١	
معجم الأدباء	٢٠	١	
الأشباه والنظائر	٢	١	

يستنتج من الجدول السابق ما يأتي:

١ ـ إنَّ معظم نصوص كتاب أبي حاتمٍ وردت في المعجمات اللغوية .

٢ـ إنَّ تهذيب اللغة للأزهري(٣٧٠هـ) أكثر المعجمات اشتمالاً على النصوص ؛ وتعليل ذلك أنَّ هذا الكتاب كان واحداً من مصادره التي عول

عليها في ميدان التصحيح اللغوي ، وقد عبر عن إعجابه به في مقدمته حين قال : ((... وقد قرأته فرأيته مشتملاً على الفوائد الجمة ، وما رأيت كتاباً في هذا الباب أنبل منه ولا أكمل)) .[٥]

٣ــإن مجموع النصوص التي وردت في مصادرنا هو(٣٩٩) ثلاثمائة وتسعة وتسعون نصاً ، من ضمنها المكررة في أكثر من مصدر ، إذ يشير الجدول إلى أن أكثر من واحد من أصحاب المصادر قد أخذ نصوصاً عن الأزهري بصورة مباشرة أو غيز مباشرة ، وهذا من أسباب تكرار النصوص، فإذا كان عدد النصوص التي خضعت لمعايير الجمع مئة وسبعة وستين نصا ، وعدد نصوص اللّحْقِ سبعة عشر نصا ، فإن عدد النصوص المكررة التي وردت في أكثر من مصدر هو مائتان وخمسة عشر نصاً.

٤ــ على الرغم من أن أكثر المصادر تمثل معجمات لغوية ، فإن المصادر الأخرى للنصوص قد تنوعت بين كتب اللغة والتراجم ، ومعاجم البلدان وكتب لحن العامة.

توثيق نسبة الكتاب وعنوانه :

ليس هناك خلاف بين أصحاب كتب التراجم حول تأليف أبي حاتم كتابا في لحن العامة ، لكن الخلاف بينهم يكمن في عنوان هذا الكتاب ، إذ اختلفوا في الاسم الذي سماه مؤلفه به ، ولهذا تعددت عنواناته ، وكثرت أسماؤه ، ومما ذكر له من عنوانات :

١ــ لحن العامة .

٢ــ ما تلحن فيه العامة . أو ما يلحن فيه العامة .

---

[٥] ١/٢٢.

٣ــ إصلاح المزال والمفسد. وقد تعددت وجوه هذه التسمية وكما يأتي :

ــ المُزالُ والمُفْسدُ .

ــ المُفْسَد والمُزَالُ .

ــ المُفْسَد من كلامِ العربِ والمُزال عن جهتِهِ .

ــ إصلاح المُفسد .

ــ كتاب المُزال والمُفْسد .

ــ كتاب تقويم المُفسد والمُزال عن جهته من كلام العرب .

وإذا كان هذا البحث قد رجَّح العنوان الأول(لحن العامة) فإنه قد استند في ذلك إلى ما يأتي :

أ ــ إن الكثيرين ممن ترجموا لأبي حاتم ، أو رووا عنه ذكروا أن له كتاباً اسمه(لحن العامة) ، فقد ذكره بهذا الاسم كل من الزُّبيدي (٣٧٩هـ)[٦] والبكري(٤٨٧هـ)[٧] ، وابن خير الاشبيلي(٥٧٥هـ) [٨]والسيوطي (٩١١هـ)[٩] ، وتابعهم في ذلك بعض أصحاب المعجمات[١٠] وبعض الباحثين المحدثين [١١] . أما القسم الآخر ممن ترجم له فقد سماه (ما تلحن فيه العامة)[١٢] ، ورأى أن هذه التسمية تذهب إلى مضمون الكتاب لا إلى

---

(٦) ينظر: لحن العوام: ص٥.

(٧) ينظر: معجم ما استعجم:٢/٣٥٩؛ ٤/١٢٦٥.

(٨) ينظر: فهرسة ما رواه عن شيوخه: ٣٤٨.

(٩) ينظر: بغية الوعاة:١/٦٠٦.

(١٠) ينظر: تاج العروس: ٩/٤٤٣.

(١١) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٧٧ ــ٧٩.

(١٢) ينظر: الفهرست: ٩٣، ومعجم الأدباء: ١١/٢٦٥، وأنباه الرواة:٢/٦٢، والأشباه والنظائر: ٤/١٢٩.

عنوانه ، وعلى هذا الأساس فهي لا تتعارض مع العنوان الأول ، إذ كثيراً ما تناوبت هاتان التسميتان على كتاب واحد، والغريب أن السيوطي الذي سبق أن ذكرنا أنه قد سمّى كتاب أبي حاتم في بغية الوعاة (لحن العامة) ، سماه في الأشباه والنظائر (ما تلحن فيه العامة) ، ولعله وغيره ممن سماه بهذا الاسم قد جروا في تسميته على غرار كتب كثيرة حملت هذه التسمية ، أو تسمية مقاربة (ما يلحن فيه العامة) ، كما هو الحال في مؤلفات الرعيل الأول من أصحاب كتب لحن العامة أمثال الكسائي (١٨٩هـ) والفراء(٢٠٧هـ) وأبي عبيدة (٢٠٨هـ) والأصمعي(٢١٦هـ) والمازني(٢٤٩هـ) وأبي حنيفة الدينوري(٢٨٩هـ) وغيرهم.[١٣]

ب ــ إنَّ مما يرجح هذا العنوان إشارة الزبيدي الصريحة في مقدمة كتابه (لحن العوام) إلى إطلاعه على هذا الكتاب وقراءته له ، وتأكيده أن أبا حاتم قد سماه (لحن العامة) ، فمما قاله في هذا الصدد:

((ثم أَلَّفَ من بعدِهِ { الخليل } مِنْ أهلِ العلمِ في النحوِ والغريبِ وإصلاحِ المنطقِ، على قدرِ الحاجةِ ، وبحسب الضرورة ، تحصيناً للغتهم ، وإصلاحاً للمُفْسَدِ من كلامهم ، إلى أن وضع أبو حاتم كتاباً اعتزم به تقويم ما غيَّرهُ أهلُ عصرِهِ من كلامِ العربِ وسمَّاهُ (كتاب لحن العامة) . وإني لما تصفحتُ كتابَهُ هذا رأيتُهُ مُشْتَمِلاً على ما يَشْتَمِلُ عليهِ سائرُ الكتبِ الموضوعةِ في اللغةِ ...))[١٤]

ج ــ ومما يرجح هذا العنوان ترجيحاً مدعوماً بالحجة القوية أن ابن خير الاشبيلي قد ذكره بهذا الاسم مع ذكره طريق روايته إليه منتهياً بمؤلفه أبي

---

[١٣] لحن العامة والتطور اللغوي:١٠١ وما بعدها.

[١٤] ينظر: لحن العوام: ص٥.

حاتم إذ قال : ((كتاب لحن العامة ، لأبي حاتم السجستاني، تبويب أبي علي البغدادي ، حدثني به الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد النفزي رحمه الله، عن خاله الأديب أبي محمد غانم بن وليد المخزومي ، عن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون السهمي ، عن صاحب الشرطة أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد ، عن أبي علي البغدادي ، قال : قرأته غير مبوب على أبي بكر بن دريد ، عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني مؤلفه ، رحمه الله)).[١٥]

أما أسباب عدم ترجيح البحث العنوان الثالث (إصلاح المُزال والمُفْسَد) والوجوه الأخرى له فهي :

١ ـ ثمة اضطراب كبير صاحَبَ ذكر هذا العنوان ، إذ أنَّ الأزهري الذي هو أول من ذكره سماه (إصلاح المُزال والمُفْسَد) في مقدمة التهذيب[١٦] ، ثم عاد في المتن فسماه (كتاب المزال والمفسد)[١٧] حاذفاً كلمة (إصلاح) ، وجاء الصغاني(٦٥٠هـ) ليسميه في مقدمة العباب (كتاب المفسد من كلام العرب والمزال عن جهته)[١٨] فقدم كلمة (المفسد) على كلمة (المزال) ، وأضاف كلمات عليه ، ثم أضاف في كتابه الآخر (الشوارد في اللغة)[١٩] كلمة تقويم إلى مطلع العنوان ، وقدم وأخر في كلماته ليصبح (تقويم المفسد والمزال عن جهته من كلام العرب) ، ثم

---

[١٥] فهرسة ما رواه عن شيوخه:٣٤٨.

[١٦] ينظر: ١/٢٢.

[١٧] ينظر: ١٢ /٣٧٤.

[١٨] ينظر: ص٧.

[١٩] ينظر: ص٢٠١.

جاء من اختصره فسماه (إصلاح المفسد)[٢٠] ، وآخر سماه (المفسد والمزال)[٢١].

٢ـ لم يذكر هذا العنوان أحد من أصحاب كتب التراجم ، إذ جل من ذكره كان من اللغويين ، الذين أخذوه عن الأزهري كما أثبت التوثيق ذلك وهم : الصغاني(٦٥٠هـ) وابن منظور(٧١١هـ) ، فضلاً عن ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) في معجم البلدان ، كما سيتضح ذلك من نصوص كتاب أبي حاتم المجموعة .

٣ـ إن اختلاف القدماء في عنوان كتاب أبي حاتم جعل أكثر من واحد من المحدثين[٢٢] يتوهم بأن لأبي حاتم كتابين في لحن العامة أحدهما (لحن العامة) أو (ما تلحن فيه العامة) ، والآخر(المزال والمفسد) أو أحد وجوه هذه التسمية . قلتُ وهم ؛ لأن كل من ترجم لأبي حاتم من القدماء لم يذكر له إلا كتاباً واحداً في لحن العامة ، لكن منهم من سماه (لحن العامة) ، ومنهم من سماه (ما تلحن فيه العامة) ، كما ذكرنا آنفاً .

٤ ـ نؤيد ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب بعده تسمية (المزال والمفسد) باباً من أبواب الكتاب حين قال:((ولعل هذه التسمية تخص باباً في الكتاب كله))[٢٣] معززاً ما ذهب إليه بنص ذكره الأزهري في

---

[٢٠] ينظر: تاج العروس:٣ /١٠٢.

[٢١] ينظر: كشف الظنون:١٤٥٨/٢.

[٢٢] ينظر: تاريخ الأدب العربي:١٦٢/٢، فعلت وأفعلت:مقدمة المحقق:ص ٢٧ ، ٣٢ كتاب الفرق ، مقدمة المحقق ، منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ ، المجلد ٣٧ ، آذار ١٩٨٦، ص ٢١٧ـ ٢١٨ ، ثلاثة كتب في الأضداد ، الأضداد لأبي حاتم ، من كلام الناشر:١٦١.

[٢٣] لحن العامة والتطور اللغوي:١٤٠ .

التهذيب ، هو قوله : ((وقد وضع أبو حاتم هذا الحرف في باب المزال والمفسد)).[24] وهذا البحث يعززه بما يأتي :

أ ــ ثمة نص ورد في(تاج العروس) فيه زيادة عما ذكره الأزهري ، وتوضيحا لهذه المسألة سأذكر النص كاملاً كما ورد في (تاج العروس) وهو : ((تقول العامة ويقال ، إذا اقْتَتَلَ الديكان فهربَ أحدهما : قَنْزَعَ الديكُ ؛ قال أبو حاتم عن الأصمعي : هو قولُ العامة ، ولا يقال : قَنْزَعَ ، وإنَما يقال : قَوْزَعَ الديكُ إذا غَلَبَ ... فوضعه أبو حاتم في باب المزال والمفسد ، وقال : صوابه قوزع ، ووضعه ابن السكيت في باب ما يلحن فيه العامة.))[25] وقد يقول قائل : إن كلمة(كتاب) عبث بها النساخ ، وأصابها التصحيف والتحريف فصارت (باباً) ، و هذا الاعتراض يرد عليه بأن قول الزَّبيدي(١٢٠٦هـ): ((فوضعه أبو حاتم في باب المزال والمفسد ، وقال: صوابه قوزع ، ووضعه ابن السكيت في باب ما يلحن فيه)) يؤكد أن (المزال والمفسد) باب ،وليس كتاباً ، وإلا ما كان ليقرن بباب ما يلحن فيه العامة ، الذي هو أحد أبواب كتاب إصلاح المنطق[26] لابن السكيت(٢٤٤هـ) ، وعلى وفق هذا فإن المزال والمفسد هو أحد أبواب كتاب(لحن العامة) لأبي حاتم بالضرورة أيضاً .

ب ــ ومما يعزز أن(المزال والمفسد) هو عنوان لباب من أبواب الكتاب وليس عنواناً للكتاب كله تكرار لفظي (المُزال) و(المُفْسَد) في كتب لحن

---

[24] ١/ ٣٨ .

[25] ٢٢ / ٨٧ ــ ٨٨

[26] ينظر: ص ٣١٣ ، واسم الباب في إصلاح المنطق المطبوع (ومما يضعه الناس في غير موضعه).

العامة ، إذ غالباً ما يوصف الكلام الذي تحرفه العامة عن جهته بالمُفْسَد، فقد جاء في مقدمة كتاب(لحن العوام) للزُّبيدي:((وإصلاحا للمُفْسَد من كلامهم))[٢٧] ثم قال بعدئذ في المقدمة نفسها: ((مما أفسدته العامة عندنا))[٢٨] هذا فضلاً عن أنه بدأ كتابه بـ ((ذكر ما أفسدته العامة وما وضعوه في غير موضعه))[٢٩] ، إن موازنة يسيرة بين هذا العنوان والعنوان الذي سمي به كتاب أبي حاتم تكشف مدى التقارب بين مضمونيهما ، وهذا ما يجعلني أرجح أن (إصلاح المفسد والمزال) هو الباب الأول من كتاب أبي حاتم.

ج ـ وليس بمستبعد أن يكون الأزهري قد اعتمد على النسخة غير المبوبة لكتاب أبي حاتم التي ذكرها ابن خير، ولم يطلع على النسخة التي بوبها أبو علي القالي(٣٥٦هـ) ، وربما كانت هذه النسخة معتمد أغلب الكتب التي ذكرت الكتاب باسم (لحن العامة) .

يتضح من كل ما تقدم أن(لحن العامة) و(تقويم المُفْسَد والمُزال عن جهته من كلام العرب) والأسماء الأُخر له كلها عنوانات لكتاب واحد. وعلى الرغم من أن النصوص التي ذكرها الصغاني في(الشوارد) ، تصنف على أنها من غريب اللغة وشواردها ، وهذا ظاهرياً لا يمت بصلة إلى كتب لحن العامة ، فإن لدينا دليلاً على أن ما ذكره الصغاني في (الشوارد) هو من كتاب (لحن العامة) لأبي حاتم ، يتمثل هذا الدليل بقول الزُبيدي في مقدمة كتاب (لحن العوام) : ((ولعل طاعناً يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام

---

(٢٧) ص٥.

(٢٨) ص٧ .

(٢٩) ص١١ .

السوقي واللفظ المستعمل العامي ، جهلاً منه أن الفساد إنما يقع في المستعمل على الألسنة ، وأنّ الوحشي مصونٌ من التغيير والإحالة ؛ لقلـة استعماله وجهل عوام الناس به . وما ذكره أبو حاتم، مما عسى أن يعاب علينا ذكر مثله لنا فيه عذر كافٍ))[٣٠] فهذا الكلام يشير إلى أن الكتاب الذي وقع بيد الزُبيدي يضم من الوحشي والشارد الذي وقع فيه التغيير، ودعا أبو حاتم إلى تقويمه ، مما يؤكد أن ما ذكره الصغاني في (الشوارد) هو من هـذا الكتـاب أي: (لحن العامة) .

وثمة نص آخر ذكره الزُبيدي أيضاً في مكان آخر من مقدمته في أثناء وصفه كتاب أبي حاتم ، يحسم الجدل الذي أثير حول هذه المسألة ، وهـو قوله : ((وإني لما تصفحتُ كتابهُ هذا رأيتُهُ مشتملاً على ما يشتمل عليه سائر الكتب الموضوعة في اللغة ، ورأيت الفن الذي قصده ، والضرب الذي اعتمده ووسم الكتاب به ، نزراً فيما ضمَّنَهُ من تفسير الغريب ، وتصريف الأفعال ، وتوجيه اللغات ، فكان الكتاب مؤلفاً لغير ما نُسِبَ إليهِ وعُرِفَ بِهِ))[٣١]. ويبدو تعجب الزُبيدي مما وجده في هذا الكتاب واضحاً ، ففيه ما لم تألفه كتب لحن العامة؛ إذ أشتمل على تفسير الغريب ، وتصريف الأفعال ، وتوجيه اللغات ؛ مما حدا بالزُبيدي إلى القول : (وكان الكتاب مؤلفاً لغير ما نُسب إليه وعُرف به) ، وهنا تكمن مشكلة اختلافهم في عنوان كتاب أبي حاتم ، وعليه فإن هذا النص قطع جهيزة قول كل خطيب كما يقال .

---

[٣٠] ص٩ـ١٠.

[٣١] ص٥ـ٦.

معايير ترجيح نسبة النصوص:

إن المتتبع لروافد ثقافة أبي حاتم اللغوية يجد نفسه أمام رجل واسع الإطلاع ، كثير الحفظ ، غزير التأليف ، موسوعي الثقافة ، إذ ذكرت المظان التي ترجمت له أنه كان نحوياً ولغوياً وراوية وشاعراً[٣٢]. ومن الطبيعي أن تتنوع مؤلفاته بتنوع مشارب ثقافته؛ لذا كانت حصيلة هذه الثقافة الواسعة المتنوعة قائمةً طويلة من المؤلفات ناهزت الخمسين مؤلفاً[٣٣]، لم يصل إلينا منها ـ على قدر علم الباحث ـ سوى سبعة كتب[٣٤]، أمَّا بقية المؤلفات فقد وصلت إلينا نصوص منها متناثرة هنا وهناك ، تتمثل بـآلاف المرويات اللغوية[٣٥]، التي غالباً ما تُنسب إلى الرجل لا إلى كتبه .

ويعد كتاب (لحن العامة) واحداً من مؤلفات أبي حاتم المفقودة ، إذ ثبت لي من خلال التوثيق أن نصوصه متناثرة في كتب اللغة والمعجمات ؛ ولهذا فإنني عندما بدأت باستقراء ما استقريته منها وجدتها تزخر بمرويات منسوبة إلى أبي حاتم ، إذ أينما استقريت فثمة (قال أبو حاتم) أو (حكى أبو حاتم) أو (روى أبو حاتم) ، وفي مواضع تطالعنا عبارات أمثال :

---

[٣٢] ينظر: طبقات النحويين واللغويين :٩٤ـ ٩٦، والمزهر في علوم اللغة وآدابها:٢/٤٠٥ ، و أنباه الرواة :٢/٦٠.

[٣٣] ينظر: فعلت وأفعلت ، مقدمة المحقق : ٣٢ـ ٤٤ ، وكتاب الفرق ، مقدمة المحقق : ٢١٧ ـ ٢١٩.

[٣٤] هي: الأضداد ، و فعلت وأفعلت ، والنخلة ، والمذكر والمؤنث ، والكرم ، والمعمرون والوصايا ، والفرق./ ينظر: فعلت وأفعلت ، مقدمة المحقق : ٣٢ـ ٤٤ .

[٣٥] ومن الكتب التي كثرت فيها مرويات أبي حاتم : جمهرة اللغة ، والبارع ، والتهذيب ومعجم ما استعجم ، ولسان العرب ، والمصباح المنير ، وتاج الروس ، وغيرها.

((ذكره أبو حاتم في كتاب الطير))[36] أو ((قال أبو حاتم في كتاب النخلة))[37] أو((قال أبو حاتم في الفرق))[38] ، أو((عن أبي حاتم... في كتاب ما تلحن فيه العامة))[39] ، أو ((قال أبو حاتم في لحن العامة))[40] ، أو((قال أبو حاتم في كتاب المْزال والمُفْسَد)) .[41]

وفي ضوء ما تقدم وجدت نفسي إزاء مئات النصوص المنسوبة إلى أبي حاتم لا إلى مؤلفاته ، فأنّى لي أنْ أُميز النصوص التي عقدت العزم على جمعها ؟ ومن هنا كان لابد لي من وضع معايير دقيقة لتحقيق ما أصبو إليه ، فاستقر الرأي على المعايير الآتية :

المعيار الأول: أن تتضمن النصوص إشارة صريحة إلى أنها مأخوذة من كتاب (لحن العامة) ، أو أحد عنواناته الأخرى التي ذكرت في مبحث (توثيق نسبة الكتاب وعنوانه) ، وقد بلغ عدد النصوص التي جمعتها على وفق هذا المعيار سبعة عشر نصاً ، ومن أمثلتها النص الآتي: ((وعائذُ الله : حيٌّ من اليمن ، هكذا بالألف ، عن ابن الكلبي ، أو الصواب عيِّذ الله ، كسيِّد ، يقال : هو من بني عيِّذِ الله ، ولا يقال : عائذ الله ، كذا في الصحاح ، وذكر أبو حاتم السجستاني في كتاب لحن العامة أنَّه عيِّذُ الله

---

(36) المغرب في ترتيب المعرب: 1/471.

(37) العباب ، حرف السين: 337 و654.

(38) العباب ، حرف السين: 137.

(39) الأشباه والنظائر في النحو : 4/129.

(40) معجم ما استعجم: 4/1265.

(41) معجم البلدان: 3/200.

بتشديد الياء ، قال: لكن إن نسبت إليه خففت فسكنت اليـاء ، لـئلا تجتمـع ثلاث ياءات)).[٤٢]

المعيار الثاني: أن يشير صاحب المصدر الذي أُخذت منه النصـوص في مقدمة كتابه إلى أنها تؤول إلى كتاب أبي حاتم (لحن العامـة) ، أو أحـد عنواناته الأخرى ، كإشارة الزُبيدي في مقدمة (لحن العوام) إلى ألفاظ ذكر أن أبا حاتم قد خَطَّأ عامة المشرق بها في كتابه (لحن العامـة)[٤٣] ، أو كإشـارة الصغاني في القسم الثالث من كتابه (الشوارد في اللغة) إلى ما تفرد به أبـو حاتم السجستاني في كتاب(تقويم المفسد والمـزال عـن جهتـه مـن كـلام العرب)[٤٤] ، وقد بلغ عدد النصوص التي جمعتها على وفق هـذا المعيـار أربعة وأربعين نصاً،ومن أمثلتها النص الآتـي : ((وتقـول : ذهبـت إلـى المكارين والعامة تزيـ ياءً فتقول المكاريين)).[٤٥]

المعيار الثالث: أن تتضمن النصوص إشارة صريحة إلى لحن العامـة أو خطئهم ، وقد بلغ عدد النصوص التي جمعتها على وفق هذا المعيار سبعة وأربعين نصا ، ومن أمثلة الإشارة إلى لحن العامة النص الآتي : ((أبو حاتم: ثوبٌ بَرْنَكَانيّ لِضَرْبٍ مِنَ الأَكْسِيَة ، وهو ممَّا تلحنُ فيـه العامَّـةُ ، فَتَقُـولُ بَرْكَانٌ ، وقلتُ للأصمعي : هلْ يقالُ : تَبَرْكَنْتُ ؟ قالَ: لا أَعْرِفُـهُ. قـالَ ولا يُقالُ: بَرْكَانٌ إنَّما هو بَرْنَكَانٌ وبَرْنَكَانِيّ صِفَتَانِ))[٤٦]. ومن أمثلة الإشارة إلى

---

[٤٢] تاج العروس:٩/٤٤٣.

[٤٣] ينظر: ص٦ــ٧.

[٤٤] ص٢٠١ ــ٢٠٥.

[٤٥] لحن العوام:٧ وينظر: إصلاح المنطق:١٨٠.

[٤٦] المخصص:٤/٨٠ وينظر: لحن العامة والتطور اللغوي:٤٢ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٧٩ .

خطأ العامة النص الآتي : ((وقال أبو حاتم : قدْ أوْلعَتِ العامَّةُ بقولهم : فلانٌ صافي انجِزْمِ ، أيْ : الصوتِ أوِ الحَلْقِ . وهو خَطَأٌ.))[٤٧]

المعيار الرابع : أن يمنع أبو حاتم استعمال لفظ معين؛ وذلك باعتماده على إحدى الثنائيتين التصحيحيتين : (يقال ...ولا يقال) أو (يقال ... ولا تقل) ، دون التصريح أن الذي منعه هو مما تتكلم به العامة ، لكننا تحققنا أن ما منعه بقوله (ولا يقال) هو مما كانت تلحن فيه العامة ؛ وذلك لوجداننا ما منعه في كتب لحن العامة ، سواء تلك التي أُلفت قبل كتابه ، أم تلك التي عاصرت كتابه ، أم التي أُلفت في العصور اللاحقة. وقد بلغ عدد النصوص التي جمعتها على وفق هذا المعيار سبعة وعشرين نصاً، ومن أمثلتها النص الآتي: ((وقال أبو حاتم: أَنَسْتُ بِهِ إِنْساً بالكسرِ ولا يُقالُ أُنْساً، إِنَّما الأُنْسُ: حديثُ النِّساءِ ومُؤَانَسَتُهُنَّ ، رواهُ أبو حاتم عن أبي زيد))[٤٨].

المعيار الخامس : أن يمنع أبو حاتم ألفاظاً باستعماله مصطلحات وتعابير اصطلاحية كلها تدل على الرفض وعدم القبول والخطأ ، من أمثال أقواله : (وهذا غلط) ، (وهو خطأ) . (وليس ذلك بشيء) ، (وهذا لايجوز) ، و (غير مأخوذ به) ،(وأنا لا أعرف ...) ، و (من أسمج الخطأ) ، وما شابه ذلك من التعابير الدالة على المنع والإنكار ، مما وجدناه منسوقاً في كتب لحن العامة ، على أنه مما تلحن فيه العامة . وقد بلغ عدد النصوص التي جمعتها على وفق هذا المعيار اثنين وعشرين نصاً ، ومن أمثلتها النص الآتي : ((وَالْجِلْفُ : الغَلِيظُ الجافي ، والمصدرُ الْجَلافَةُ . قالَ

---

[٤٧] الصحاح:٥/١٧٧٨ وينظر : التهذيب: ٨/١٨.

[٤٨] التهذيب:١٣ /٨٦ وينظر: إصلاح المنطق:٢١٤ واللسان: ٦/١٤ ولحن العامة والتطور اللغوي:١٤٢.

أبو حاتمٍ : هذا غلطٌ ، إنَّمَا سُمِّي الأَعرابيّ جِلْفاً تشبيهاً بالشَّاةِ المَسْلُوخَةِ ، يُريدُ أنّ جوْفَهُ هوَاءٌ ؛ لأَنَّهُ يُقالُ: شَاةٌ مَجْلُوفَةٌ ، أَيْ : بِلا رَأْسٍ ولا أكَارِعَ))[٤٩]

المعيار السادس : أن يخطئ أبو حاتم ألفاظاً لم تنسب إلى العامة مباشرة ، وإنما إلى من هم بوصفهم ، أمثال أقواله:(ومن الناس) ، (وكلام الحشو) ، (وأهل البصرة يقولون) ، و(كذا يقوله المحدثون) ، و(أهل الحجاز يُخطئون) ، و(لبني أسد في اللغة مناكير) ، وأثبت التوثيق أنّ أمثال هذه الأخطاء وردت منسوبة إلى العامة في كتب لحن العامة . وقد بلغ عدد النصوص التي جمعتها على وفق هذا المعيار ثمانية نصوص، ومن أمثلتها النص الآتي : ((وقال أبو حاتم: من كلامِ الحَشْوِ: أنا أَبْغَضُ فُلاناً وهوَ يَبْغَضُنِي ، وهو خطأٌ إنَّما يُقالُ: أنا أُبْغِضُ فُلاناً. قالَ : ويُقالُ : ما أَبْغَضَكَ إلَيّ ، وقَدْ بَغُضَ إلَيَّ إذا صارَ بَغِيضاً ، وأَبْغِضْ بِهِ إلَيَّ ، أيْ ما أَبْغَضَهُ . وهذا صحيحٌ))[٥٠]

المعيار السابع : ألا تكون النصوص قد وردت في أحد كتبه المطبوعة فقد وجدت نصوصاً فيها إشارة إلى خطأ العامة ، أو لحنهم ، لكن التوثيق أثبت أنها قد وردت في أحد مؤلفات أبي حاتم الأُخرى ، لذا لم اسردها ضمن نصوص(كتاب لحن العامة) ، ومن أمثلة ذلك النص الآتي : ((والقافلُ الرَّاجعُ كقوله : إنَّا إلى الله راجعون ، ولا يقال القافلةُ إلا للذين رجعوا من السفر، و لا يقال لغيرهم ، والعامة تجعلُ كلَّ رُفْقَةٍ قافلةً ، وذلك خطأٌ ، وقفل القومُ أيْ رجعوا))[٥١]. فعلى الرغم من ورود هذا النص في المعجمات

---

[٤٩] جمهرة اللغة : ٤٨٧/١ وينظر: إصلاح المنطق:٣١٧.

[٥٠] التهذيب: ١٨/٨ وينظر: اللسان :١٢٢/٧ .

[٥١] الأضداد: ٧٨.

منسوبا إلى أبي حاتم لا إلى كتبه، فإنني وجدته في أثناء استقرائي كتبه المطبوعة في كتابه (الأضداد) ، لكن لا ادري في مثل هذه الحالة أ ذكر أبو حاتم هذا النص في كتابي(الأضداد) و (لحن العامة) كليهما ، أم ذكره في (الأضداد) وحده ؟ الحق أنها مسألة لا يمكن أنْ تحسم إذا لم يتوافر الدليل. وثَمّة نصوص أخرى منع فيها أبو حاتم استعمال ألفاظ بقوله : (ولا يقال) ، وهي من نصوص كتب لحن العامة ، وأثبت التوثيق أنها موجودة في كتابه (فعلت و أفعلت)[٥٢] ؛ لذلك لم أدرجها ضمن النصوص التي جمعتها . هذا فضلاً عن أني أهملت نصوصاً أُخرى ، على الرغم من اشتمالها على منحى تصحيحي ؛ لأنّ دلالاتها أو صيغها ترجح نسبتها إلى أحد كتبه التي لم تصل إلينا ، كـ (كتاب الطير) و(كتاب النخلة) وغيرهما . وها أنا ذا أُقدم ما تساوق من النصوص التي جمعتها مع المعايير المذكورة آنفاً ، معيداً التذكير بأنني سأعتمد على نظام حروف المعجم في الترتيب .

---

[٥٢] ينظر الصفحات:١٠٩، ١٣٤، ١٤٠، ١٤٥، ١٥٧، ١٨٠.

مصادر الدراسة ومراجعها :

ــ الأشباه والنظائر في النحو : السيوطي ، حيدر آباد ، الهند ١٣٦١هــ .

ــ إصلاح المنطق : ابن السكيت (٢٤٤هــ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون و أحمد محمد شاكر ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠م .

ــ أنباه الرواة على أنباه النحاة :القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ القاهرة ١٩٥٤ .

ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : السيوطي ، القاهرة١٣٢٩ هــ

ــ تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزَّبيدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ م .

ــ تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، (ت حدود ٤٠٠هــ) تحقيق احمد عبد الغفور عطار ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧ م .

ــ تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة .

ــ تهذيب اللغة: الأزهري (٣٧٠هــ) تحقيق عبد السلام محمد هارون مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٣م– ١٩٦٧م.

ــ ثلاثة كتب في الأضداد : للأصمعي وللسجستاني ولأبن السكيت ، نشرها د. أوغست هفنر عام١٩١٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

ــ جمهرة اللغة: ابن دريد (٣٢١هــ) ، تحقيق : د. رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٧م. ج١ ، ج٢، وطبعة حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هــ ، فيما يخص الجزء الثالث .

ــ طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزُّبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ م .

ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر : الحسن بن محمد الصغاني ، ج١ تحقيق فير محمد حسن . ط١ . مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م . وحرف السين ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ١٩٨٧م ، وحرف الطاء ،تحقيق آل ياسين أيضاً ، طبع في دار الرشيد في بغداد ١٩٧٩م .
ـ الفرق : أبو حاتم السجستاني ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ج١، المجلد٣٧ ، آذار ١٩٨٦م .
ـ فعلت وأفعلت : أبو حاتم السجستاني : تحقيق د. خليل إبراهيم العطية ، مطابع جامعة البصرة ، البصرة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .
ـ الفهرست : ابن النديم ، تحقيق : فلوجل ـ ليبسك ١٨٧١م .
ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه : ابن خير الاشبيلي (٥٧٥هـ) منشورات دار آفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ (١٣٩٩هـ) - ١٩٧٩م .
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، ط٣ ، منشورات المكتبة الإسلامية ، طهران ١٣٨٧ هـ ـ١٩٦٧م .
ـ لحن العامة في ضوء علم اللغة الحديث : د. عبد العزيز مطر ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م .
ـ لحن العامة والتطور اللغوي : د. رمضان عبد التواب ، ط١ القاهرة ١٩٦٧.
ـ لحن العوام : الزُّبيدي (٣٧٩هـ): تحقيق : د. رمضان عبد التواب المطبعة الكمالية ، القاهرة ١٩٦٤م .
ـ لسان العرب : ابن منظور (٧١١هـ) دار صادر ، بيروت (د.ت) .
ـ المخصص : ابن سيدة ، دار الفكر ، بيروت (د. ت) .

ـ المزهر في علوم اللغة وآدابها : السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ، مطبعة العيسى البابي الحلبي ، القاهرة ـ مجمع الأمثال : الميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٩ م.
ـ معجم الأدباء : ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .
ـ معجم ما استعجم :عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، ط٣ عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣ هـ .
ـ المغرب في ترتيب المعرب : أبو الفتح بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ط١ مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ١٩٧٩.
ـ نزهة الالباء في طبقات الأدباء : أبو البركات بن الأنباري ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ط٢ مكتبة الأندلس ، بغداد ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
ـ النقد اللغوي في معجمات القرن الرابع للهجرة : عامر باهر أسمير الحيالي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٩٦، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني .

الثالوث الإلهي في الاساطير اليمنية القديمة

الدكتور جــواد مطر الموسوي

كلية الآداب – جامعة بغداد

الملخص :

كان لأهل اليمن في التاريخ القديم اهتمام خاص بالكواكب والنجوم فكانت ديانتهم ديانة فلكية تشبه بشكلها العام الديانات الشــرقية القديمــة لكنها انبثقت من الواقع المحلي لليمن ، وتأثرت بالديانات الشرقية ...

وكان أهل اليمن متمسكين باعتقاداتهم بقوة ، فقد ذكرت المصـــادر إن في مدينة شبوة وحدها أكثر من ستين معبدا ، وعلى الرغم من تعــدد أسماء الآلهة وصفاتها وألقابها ، إلا أنها تمثل ثالوث كوكبيا يتكون من : القمر (الأب) والشمس (ألام) والزهرة (الابن) .

وهذا الثالوث يمثل تدخلا بين مرحلتين من مراحل تطور المجتمع فالقمر من معبودات المجتمع الرعوي المتنقل ، فهو الأب الأقرب إلــى قلوب الرعاة والألصق بخيالهم من الشمس اللافحة ، فهو مرشدهم فــي الليالي حيث يرعون قطعانهم في ضوئه ، فيجلب لهــم راحــة الــنفس والهواء العليل ، والندى الذي يبعث الحياة في العشب وينزل المطر مــن السماء ، أما الشمس فمن معبودات المجتمع الزراعي المستقر ، فهي التي تعطي النماء للزراعة وتنضج المحصول ، والزهــرة مــن معبــودات المجتمع الرعوي فهي الوسيلة التوضيحية في الصحراء حيــث تتشــابه الاتجاهات في الليل وتزداد أهميتها عند اختفاء القمر ، وكذلك من خلالها يمكن معرفة الوقت .

كان للعرب علم ودراية واهتمام واسع بعلم الفلك ، فهم أعلم الناس بمنازل القمر وأنوائها [١]، وأدرى الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها [٢] ولهم ما لم يكن لغيرهم في هذا المجال ، ولا سيما أنَّ البابليين وصلوا إلى مراحل متقدمة في علم الفلك ، وجاء هذا الاهتمام نتيجة لغلبة الطبيعة الصحراوية على أرض شبه جزيرة العرب ، لذلك فهم يهتدون بالنجوم في ترحلهم وأسفارهم﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [٣] وكانوا يتفاخرون فيما بينهم بمدى معرفتهم بالنجوم ومسالكها، وكانت هذه المعرفة الفلكية تتفاوت عندهم ، (فأعلم العرب بالنجوم بني مارية بن كلب وبنو مرة بن همام من شيبان)[٤] وقبيلة كنانه تهتم بالقمر وتعبده ، وكذلك جرهم بالمشتري وقريش بالشعرى وحِمْيَر تعبد الشمس[٥].

هذا دعاهم إلى الاهتمام بأثر النجوم في حياتهم ، وقالوا إن التأثيرات متعلقة بأجرام الكواكب وطلوعها وسقوطها [٦]، ولهذا أخذوا يعبدونها ،﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٧]، وأدى ذلك إلى القول أنَّ ديانة العرب

---

[١] ابن رشيق ، ابو علي الحسن (ت٤٥٦هـ) ، العمدة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢) ، ج٢ ص ٢٥٢ .

[٢] البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٠هـ) ، الاثار الباقية عن القرون الخالية ، (لايبزك : ١٩٣٢ م) ، ص ٢٣٨ .

[٣] سورة (النحل) ، آية ١٦ .

[٤] البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٣٤١ .

[٥] ابن العبري ، غريغوريوس ابو الفرج (ت٥٩٦هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، اعتناء انطوان صالحاني ، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٨٠م) ، ص ١٩٥ .

[٦] البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٣٣٨ .

[٧] سورة (فصلت) ، الاية ٣٧ .

عموماً هي ديانة فلكية [٨]، حتى البيت الحرام نفسه من البيوت التي خططت لعبادة الكواكب [٩]، ومن الملاحظ أنَّ العرب نسبوا المعادن إلى الكواكب فافترضوا المعادلات الأسطورية[١٠]:

- نسبة العمل إلى الشمس : معدنهُ الذهب .
- نسبة العمل إلى القمر : معدنهُ الفضة .
- نسبة العمل إلى الزهرة : معدنهُ النحاس الاصفر .

كانت عبادة النجوم منتشرة آنذاك من أواسط آسيا إلى مصر ، وبرزت بوضوح في بلاد وادي الرافدين [١١] .

إن الدين السائد في اليمن القديم هو دينٌ وثنيٌ ، يشبه بشكلِه العام الديانات الشرقية القديمة ، غير أن عبادة النجوم لها مكانة عظيمة ، فقد ذكر الإخباريون أنَّ ديانة سكان اليمن هي صابئة[١٢] (وهي لفظة تطلق على كل من عبد الكواكب) .

---

[٨] الحوت ، محمود سليم ، في طريق الميثولوجيا عند العرب ، ط ٣ ، (بيروت : سلسلة العلوم الاجتماعية ، ١٩٨١م) ، ص ٨٧ .

[٩] المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٥ ، (القاهرة : ١٩٦٧م) ج٤ ، ص ٤٧

[١٠] المجريطي ، ابو القاسم مسلمة (ت٣٤٣هـ) ، غاية الحكيم واحق النتجتين ، تحقيق : هـ . ريتر ، (المانيا : لايبزك ، ١٩٣٣م) ، ص ١٠٦ ــ ١٠٧ .

[١١] في اللوحة الخامسة من اسطور الخلق البابلية : ان النجوم هي صورة الالهية ورموزها (جان بوتيرو ، الديانة عند البابليين ، ترجمة : وليد الجادر ، (بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧٠م) ، ص ٨٨ .

[١٢] ابن صاعد ، ابو القاسم صاعد بن احمد الاندلسي (ت٤٦٢هـ) ، طبقات الامم ، تحقيق : محمد بحر العلوم ، (النجف الاشرف : المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٧ م) ، ص ٥٥ .

وكان لملوكِ اليمن مذهب في آثار أحكام النجوم ، وميل إلى معرفة طباعها ، فهم إذا أرادوا غزو أمة من الأمم تخيروا لذلك الأوقات السعيدة والطوالع المشاكلة لمواليدهم والملائمة لنصب دولتهم [١٣]يقول (فيلوسترجيوس) : أنَّ عبادة الشمس والقمر كانت عند الحميريين ، ويحدثنا (هيرونيموس) عن الزهرة بصفته اله مذكر عند سكان اليمن [١٤] .

ويُعتقد أنَّ عبادة الكواكب جاءت إلى اليمن نتيجة التأثير بالديانة العراقية أو الديانة المصرية [١٥] ، إلا أنَّ (المقدسي) يذكر أنَّ الدولة السبئية هي أول من دان بعبادة النجوم من العرب [١٦]، وربما تكون عبادة الأجرام السماوية هي ديانة انبثقت من الواقع المحلي لليمن ، لكنها تأثرت في الحضارات المحيطة بها منذ القدم ، وهذا يؤكد رقي الفكر عندهم ، لأنها تمثل مظهراً من مظاهر القوة [١٧]، وتعد أرقى أنواع العبادات التي يتوضّح فيها رقي وتطور التفكير الإنساني .

نجد أهل اليمن متمسكين باعتقاداتهم بقوة ، وهذا واضح من كثرة النذور والقرابين التي تقدم إلى الآلهة في مختلف المناسبات ، وفي حياة

---

(١٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٤٧ .

(١٤) نقلا عن : دتتلف نلسن ، الديانة العربية القديمة ، من كتاب (التاريخ العربي القديم) (ص ١٧٢ ــ ٢٢٤) ، ترجمة : فؤاد حسنين علي ، (القاهرة : مكتبة النهضة ، د.ت) ، ص ١٩٨ .

(١٥) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، ط٢ ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م) .

(١٦) نقلا عن : الفيومي ، محمد ابراهيم ، في الفكر الديني الجاهلي ، ط٢ ، (الكويت : دار القلم ، ١٩٨٠م) ، ص ١٢٨ .

(١٧) الاكوع ، محمد بن علي ، اليمن الخضراء مهد الحضارة ، (صنعاء : مطبعة السعادة ، ١٩٧١م) ، ص ٣٦٥ .

الأفراد من الولادة إلى الموت [١٨] ، وفي حياة الجماعة في حالات الحرب والسلم ، وإتمام الأعمال الكبيرة مثل : بناء القصور والأبراج والسدود ، وكذلك الدور الذي لعبه الكهان ، وكثرة المعابد [١٩]، فقد ذكر المؤرخ (بلينوس) أنَّ في مدينة (شبوة) عاصمة الدولة الحميرية وحدها أكثر من ستين معبدا [٢٠]، وتضمنت النقوش التي عُثر عليها ، على طائفة كبيرة من أسماء الآلهة وألقابها ، وهذا يوحي بوجود نظام للآلهة بالغ التعقيد ، يطغي عليها الطابع المحلي ، غير أنَّ الصور والنصب التي تقام للآلهة غير موجودة في هذه الديانة [٢١] .

وليس هناك ما يدل على اتخاذهم أصناما أو تماثيل لها ، الا أننا نَجدُ رموزا بسيطة ذات دلائل دينية فقد أشار (الهمداني) [٢٢] إلى وجود لوحة رُسِمَ عليها الشمس والقمر باتجاه الشرق ، وعُثر على رسم الشمس والقمر على المباخر التي تستخدم لحرق البخور[٢٣]، وعلى واجهة بيت رُسِمَ فيها

---

[١٨] دتتلف نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ٢٢٩ .

[١٩] بافقيه ، محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣م) ، ص ٢١٣ .

[٢٠] philp,H.st., J,B, Sheabas Daughters, London (١٩٣٩) , p.١٠٠

[٢١] موسكاتي ، سبيتو ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة : يعقوب بكر ، (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، د. ت) ص ١٩٤ .

[٢٢] ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٥٠ ــ ٣٦٠هــ) ، الاكليل ، تحقيق : امين نبيه فارس ، (بيروت:دار العودة ، د.ت) ج٨ ، ص ٩٥ .

[٢٣] باقيه ، تاريخ اليمن القديم ، ص ٢١ .

الثالوث المقدس عند أهل اليمن [٢٤]، وعُثر كذلك على صور لبعض الحيوانات كان للثور نصيب الأسد فيها ، وتوجد في الوقت الحاضر لوحة في المتحف الوطني (صنعاء) نُقشَ عليها الثورٌ ونجد فيها اهتمام الفنان الشديد بتفاصيل ملامح وجه الثور ، وقد نجح أكثر من نحته للوجوه الآدمية ، وهذا يدل على مدى قدسية هذا الحيوان عندهم ، وهناك لوحة من المتحف نفسه مُثِّلَ عليها الوعل وهو يقف على أرجله الخلفية ، وامتاز هذا النقش بالجمال والدقة إلى جانب التفاصيل التشريحية الدقيقة للحيوان [٢٥]، وهناك رموز للنسر والأفعى والبومة والصقر وكذلك للنخيل والكروم [٢٦] ، وربما هذا كله يشير إلى أنَّ اليمنيين في فترات ماضية كانوا يعتقدون أنَّ هذه الرموز عناصر مهمة في الطبيعة ، قبل أنَّ تثير السماء اهتمامهم ويسود الثالوث الكوكبي المتكون من القمر والشمس والزهرة ، وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الثالوث بوصفه أجراما خاضعة لمشيئة الله ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [٢٧] .

وعلى الرغم من تعدد أسماء الآلهة وصفاتها وألقابها ، إلا أنها تمثل هذا الثالوث الذي هو ظاهرة دينية في الشرق منذ القدم ، كان لها تأثيرها على الحضارات المجاورة الأخرى . فالثالوث البابليين هو سين (القمر) وشمش

---

[٢٤] كراتشكوفسكايا ، ن ، أ ، الاهمية التاريخية لآثار فن المعمار اليمني القديم ، ترجمة : قائد محمد طربوش ، مجلة (الاكليل) ، ع٣ ـ ٤ (ص ٣٦ ـ ٦٠) ، (صنعاء : وزارة الاعلام ، ١٩٨٨م) ، ص ٣٧ .

[٢٥] ابو العيون بركات ، الفن اليمني القديم ، مجلة (الاكليل) ،ع١، س٦ (ص ١٧٧_١٠١) (صنعاء : وزارة الاعلام ، ١٩٨٨م) ، ص ٨٦ .

[٢٦] م ، ن .

[٢٧] سورة (الرحمن) ، الاية ٥ ـ ٦ .

(الشمس) وعشتار (الزهرة)[٢٨]، وأوزريس وإيزيس ، وهوريوس هو ثالوث المصريين الفراعنة [٢٩]، وعند الحضريين : مرن (الشمس) ومرتن (القمر) وبرمرين (الابن) [٣٠]، وبل ويرحبول وعجلبول هو ثالوث التدمريين [٣١]، أما ثالوث الفينيقيين فهو : جوبتير (المشتري) وفينوس (الزهرة) ومركور (عطار) [٣٢] .

أنَّ الطابع الفلكي للدين في اليمن هو أقوى بكثير مما هو عليه في شمال الجزيرة العربية ، وتذكر النقوش عشرات الآلهة ، وقد حاول هومل (Hommal) أنَّ يقسم هذه الأسماء ويوزعها على أربع شخصيات [٣٣]، إلا أنَّ الأبحاث الأخيرة، أثبتت أنه لا يمكن الخروج على هذا الثالوث الكوكبي الذي يمثل القوى الطبيعية البارزة في الكون ، (على سبيل المثال النقش الموسوم (MT١٩)) ، التي تتحكم في مقدراتهم حسن اعتقادهم بها ، وبذلك

---

[٢٨] منذر البكر ، دراسة في الميثولوجيا العربية ، (المجلة العربية للعلوم الانسانية) ، مج ٨ ، ع٢٠ (ص ١٠٢ ــ ١٣٦) ، (الكويت : ١٩٨٨م) ، ص ١٠٩ .

[٢٩] الثور ، عبد الله احمد ، هذه هي اليمن ، (صنعاء : مطبعة المدني ، ١٩٦٩م) ، ص ٢٣٣ .

[٣٠] فؤاد سفر ، وعلي محمد مصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، (بغداد : دائرة الاثار والتراث ، ١٩٧٤ م) ، ص ٤١ ــ ٤٢ .

[٣١] يحيى ، العرب ، ص ٣٥٩ .

[٣٢] الف ، ميخائيل موسى ، آلهة بعلبك الثلاثة والادلة عليها ، مجلة (المشرق) ، مج ١٠، ص ١٥٨ ــ ١٦١ ، (بيروت : ١٩٠٧م) ، ص ٥٨ .

[٣٣] دنتلف ، نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ١٩٤ .

نستطيع أن نبين العلاقة بين أسماء الآلهة اليمنية بأحسن صورة في الجدول أدناه [٣٤] .

الدول اليمنية	اسم أو صفة الإله القمر (الأب)	اسم أو صفة الإله الشمس (الأم)	اسم أو صفة الإله الزهرة (الأبن)
معين	ود	نكرح	عثتر
سبأ	المقه	شمس أو هوبس	عثتر
قتبان	عم	اثرة (اثرت)	عثتر
حضرموت	سن	شمس	عثتر
اوسان	ود	شمس	عثتر

كانت هذه الاعتقادات الدينية بسيطة وطبيعية ، فقد عبد كل أهل اليمن الإله (القمر) ، هو في الاساطير ، الأب والإله الوطني للشعب والملك ، والإلهة الشمس هي الأم والإلهة الحامية للعائلة ، والإله الزهرة (عثتر) ذا الأشعة الواضحة وهو الابن [٣٥] .

ويبدو أن الشمس والقمر هما الإلهان الكبيران عندهم ، لكن الإله (عثتر) المكانة نفسها في الأقل ، وقد انتقلت عبادة هذه الأسرة الفلكية مع اليمنيين في ترحالهم وسفرهم واستقرارهم واستيطانهم في شمال شبه الجزيرة وفي الحبشة [٣٦] .

تُعد الشمس والقمر في الاساطير العالمية ، زوجين كأب وأم للزهرة وكل النجوم ،

---

(٣٤) Grohmann , Akulturgesegte des Alte orients (١١١،٤) , Arabian , Muenchen : ١٩٦٣) , p. ٢٤٣ .

(٣٥) Nielsen , D,Die. Aetgipoisehen Goetter (ZdmG) B.d.٦٦ leiozig:١٩١٢) (,p.٥٩١ .

(٣٦) دتتلف ، نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ١٩٣ .

ويـرى (كرهمـــان) أن العـــرب كـــانوا يصـــورون القمـــر بـــ (ملك السماء) والشمس بـــ (ملكة السماء) [٣٧] .

لا توجد أسطورة بين الأساطير المنتشرة في العالم الا فيهـا تجسـيد للكواكب ، كالأسطورة المتصلة بالقرابة أو الاسرة ، فهذه الأسطورة العالمية تشير أن زواجا تم بين القمر والشمس ، وأنهما يجتمعان مرة كل شهر ، عند اتجاه الكوكبين نحو الأرض ، لذلك يستخدم اليونانيون والهنود كلمـــة لهـــذا الالتقاء تدل على النكاح ، ويعد هذا الالتقاء عند الجرمان هو وقت الزفاف ولا سيما في وقت ظهور الهلال ، وكذلك في الأساطير اليونانية والرمانية وعنـــد البراهمة في الهند ، ومن الغريب أن الرجل من البراهمة لا يقرب امرأتهُ إلا مرة واحدة في كل شهر ، وهذا واضح في الأساطير الأولية للتوتيين[٣٨]:

في فصل الربيع

اقترن القمر بالشمس

واتخذها زوجا له

إلا أن الشمس استيقظت

مع الصباح الباكر

فتركت القمر

في فراشه ... منذ ذلك الحين

وفي الأساطير الروسية :

الشمس المضيئة هي سيدة البيت

والنجوم المتلألئة هي أطفالها [٣٩]

---

(٣٧) Grohmann , Araben , p. ٨٨ .

(٣٨) دتتلف ، نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

(٣٩) م ، ن ، ص ٢٠٤ .

ومن هنا نشأ الخلاف في جنس الشمس والقمر في أكثر اللغات القديمة والحديثة ومثال ذلك في الجدول أدناه(٤٠) :

اللغـة	الشمس		القمر	
	الجنس	التسمية	الجنس	التسمية
السومرية والأكدية	مذكر	شمش	مذكر	سين
الهندية	مؤنث	surga	مذكر	sam
السريانية والكلدانية	مؤنث	شمش	مذكر	سهرا
اليابانية القديمة	مؤنث	اماتيراسو	مذكر	شوكي يومي
اللاتينية	مذكر	sol	مؤنث	Luna
العربية	مؤنث	شمش	مذكر	قمر
اليونانية	مذكر	Helious	مؤنث	Selene
الإنكليزية		Sun	مؤنث	Moon
الفرنسية	مذكر	soleil	مؤنث	lune

وفي الاساطيرالبدائية ، نجد بعض القبائل والشعوب تجعل أصلها من الإلهة ، من حيث انتماؤها واشتقاق الأسماء من الأب الإلهي الأقدم أو الأم الإلهية ، وهذا ما نجده عند بعض القبائل العربية مثل بني هلال وبني بدر ويلاحظ أنَّ جميع قبائل اليمن ينعتون أنفسهم بأبناء الإله (القمر) فالمعينيون أولاد الإله (ود) والقتبانيون هم أولاد الإله (عم) والسبئيون هم أولاد الإله (المقه) وهي صفات وأسماء للإله القمر ، كما تأثرت في ذلك الشعوب المجاورة ، فنجد ملك (اقسوم) في الحبشة يُدعى بأنهُ ابن الإله القمر (٤١) .

---

(٤٠) منذر البكر ، دراسة فى الميثولوجيات ، ص ١٠٩ .

(٤١) Nielsen , D, Die. Aethipoischen Goetter, p. ٥٩٣ – ٥٩٠ .

وكان نظام الحكم في اليمن نظاما دينيا ، فالإلهة هي رأس الدولة والحافظة للحكم ، وأنها السلطة الأولى ، تليها سلطة الملوك ، ثم سلطة الشعب [٤٢]، كما في النقش الموسوم (RES ٢٧٨٩) .

وكان الحاكم اليمني في بداية حكم الممالك يحمل لقب (مكرب) ذات الصيغة الدينية المقدسة ، التي اختلفت وتنوعت التفسيرات في مدلولها ومعانيها ، فهو الجمع بين الكهنة والأمارة [٤٣]، وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للإلهة [٤٤] ، أو أمير الكهنوت أو أمير القربان [٤٥]، وهو يشبه إلى حد كبير وظيفة (مزود) عند المعينيين ، وذكر (الدكتور جواد علي) [٤٦] أن لفظة (مكرب) إنما تعني (مقرب) وأن (المقرب) هو المقِّرب بين الإلهة والناس والواسطة بينهما والشفيع لهما ، والقرب ضد البعد ، والاقتراب الدنو والتقرب التدني والتواصل بحق أو قربة ، أما (رينيه ديسو) [٤٧]فلا يتفق مع ما طُرِحَ من الآراء حول هذا اللقب ، ويشير إلى أنه زعم لا يمكن تأييده بالبراهين ، ولا سيما أنَّ لدينا نصا يصف (المكرب) بأنهُ الملك ،

---

[٤٢] جواد علي ، مقومات الدولة العربية قبل الا سلام ، مجلة (المجمع العلمي العراقي) مج ٣٨ ، ج ٢ ــ ٣ (ص ٢٩ ــ ٨٠) ، (بغداد : المجمع العلمي ١٩٨٧ م) ، ص ١٥ .

[٤٣]خليل احمد خليل ، مضمون الاسطورة في الفكر العربي القديم ، (بيروت : ١٩٧٣ م)

[٤٤] مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، (الرياض : ١٩٧٧م) ، ص ٢٧١ .

[٤٥] دنتلف ، نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ١٢٢ .

[٤٦] مقومات الدولة العربية ، ص ٤٠ .

[٤٧] العرب في سوريا قبل الاسلام ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، (دمشق : الدار القومية للطباعة النشر ، د.ت) ، ص ٧٠ .

ويذكر(ريكمانز) [٤٨] أن لفظة (كرب) تعني الموحد ، وفي المعجم السبئي جاءت لفظة (كرب) فعلاً في النقش الموسوم بـ (RES ٣٩٦٠) بمعنى نفذوالتزم وتقيد (بواجب) ، وكذلك توجيهات أو أوامر ، ويأتي اسم (مكرب) لقبا لرئيس حلف قبلي في الفترة المتقدمة ، وفي عهد التوحيد اسما كما في النقشين الموسومين بـ (CIH ١٥١+ ١٥٢/٢) بمعنى معبد وبيعة ، ودارا ، وندوة [٤٩] أما لفظة (مقرب) وفعلها الثلاثي (قرب) فتأتي بمعنى اقترب من كان قريبا كما في النقش الموسوم بـ (YM ٣٩٢/١٥) ، وفي النقشين الموسومين بـ (CIH ٥٢٣/٢+ ٥٣٣/٣) بمعنى قرب (امرأة) للمضاجعة (الجماع) وفي النقش الموسوم بـ (HA ٤٩/٢٣) بمعنى احضر (جندا) ، وفي فترة التوحيد الإلهي جاءت اسما (قرب) كما في النقشين الموسمين بـ (CIH ٥٤٠/٦+٨+٣٩٠)[٥٠] ولا ندري على أي شي يطلق .

أما عن كيفية ظهور حكم الـ (مكاربة) فلا توجد لدينا نصوص توضح ذلك ، كل ما نعرفه ان (كرب ايل وتر) وهو ابن (كرب ذمر علي) كان مكربا في سبأ ، وقد جاء نعته بـ (مكرب) في النصوص المتقدمة والمدونة في أول عهده . أما في النصوص المتأخرة من أيامه ، فقد نعت نفسه فيها بلقب (ملك) واستنطق من ذلك أنه شرع في الحكم مكربا ثم ختمه ملكا ، نابذا اللقب القديم ، والسبب قد يكون استصغار لقب (مكرب)

---

(٤٨) نقلا عن : عدنان ترسيس ، الايمن وحضارة العرب ، (بيروت : مكتبة الحياة ، د.ت) ، ص ٢٢ .

(٤٩) Beeton and Other, Sabain Dictionary, publication of Universtiy of Sanaa YAR (Louvain : ١٩٨٢) ,p . ٧٨ .

(٥٠) Ibid , p . ١٠٦

وتفضيله لقب (ملك) عليه [٥١]، وربما كانت السلطة السياسية والدينية في هذه الحالة لم تنفصل ، لأن الدين كان يُعد الدعامة الأساسية التي تعطي للنظام السياسي قاعدتهُ القانونية عند الشعوب القديمة ، لذلك فإن القوانين والأحكام التي يصدرها الملك اليمني تعمد من قبل الإلهة [٥٢] لتصبح عملا موحى به من الإله ، لحفظ الحقوق وإشاعة العدل ، ومن يتعدى على حكم القانون كمن يتعمد مخالفة أحكام الإلهة وأوامرها [٥٣]

كما أن فقدان الصلاحيات الدينية للملك ، وإعطاءها الى الكهان ، سيؤدي الى انقسام السلطة ، وإلى عدم استقرار الحكومة المركزية ، ويفقد الملك فيه كثيرا من الولاء والطاعة ، فهي القوة المهيمنة على هذا العالم كله ، والمسيِّرة له ، والمعطية للإنسان حياتهُ وطعامَهُ وشرابَهُ [٥٤]، لذلك استخدم الملوك ألقاب الإلهة مثل : (يثع) المنقذ ، و (يصدق) الصادق أو العادل ، و (وقه) الحبيب أو الأقر ، و (يام) السامي ، و (نبط) المضيء [٥٥] .

كما أن لفظة (ملك) هي أحد أسماء الإلهة (زهرة) ، وبما أن الإله الزهرة هو ابن الإله (القمر) الزوج والإلهة (الشمس) الزوجة فإن (الملك) اليمني يعد نفسه

---

[٥١] جواد علي ، مقومات الدولة العربية ، ص ٤١ .

[٥٢] ثريا منقوش ، تاريخ الالهة اليمنية والتوحيد الالهي ، مجلة (المؤرخ العربية) ، ع ٩ (ص ١٦ ــ ٦١) ، (بغداد : اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٨٧ م) ، ص ٢٩ .

[٥٣] جواد علي ، مقومات الدولة العربية ، ص ٧١ .

[٥٤] م ، ن ، ص ٥٣ .

[٥٥] الويس ، حسن بن علي ، اليمن الكبرى ، (القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٦٢ م) ، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

بمثابة ابن الإلهة [٥٦]، وهو بذلك يسخَر الإلهة لتحقيق سطوته على المجتمع ، ففي النقش الموسوم بـــ (٤ A) أن (ابشم ذعم يدع) قدّم لسيده (يصدق آل فرعم بن شرح عث ملك اوسان) بن الإله (ود) تمثالا من ذهب في معبده النعمان لأنه أباهُ الإله (ود) ، ومن ذلك يتبين أن الملك الأوســاني يتمتــع بصفة دينية .

كما تذكر النقوش ان القتبانيين هم (ولد عم) كصفة للقتبانيين عامة ، والسبئيين والمعينيين هم ولد الإله ، لكن في النقش السابق والموســوم بــــ (٤ A) هناك صفة مقدسة هي صلة القرابة المباشرة وتملكه للمعبد ، حيث إن المعبد معبده وفيه كان يتلقى القرابين والنذور نيابة عن أبيه الإله (ود) [٥٧] .

إنّ استقطاع أجزاء من الأراضي التي يستولي عليها الملك إذا كسبوا حربا إلى الإله وتسجيلها باسم معبده [٥٨]وإصدار الأوامر لجبايــة الضــرائب للإلهة [٥٩].

هي أعمال تصب في خدمة الإلهة ، وفي الوقت نفسه تشــحذ الهمــة عنــد اليمنيين لتطبيق كل ما يصدر من الملك على أنه يأتي من الإلهة ، وكل ذلــك لا يمنع الملك من تقديم القرابين للإلهة كما في النقش الموسوم بـــ (AN.٣٥)

---

[٥٦] ويذهب المستشرق الالماني (نلسن) الى ان لفظة (ملك) اسم لاحد الالهة الثمودية وان لفظة (ملكن) في النقش الموسوم بـــ (GL١٦٠٠) لم يقصد بها الملك بالمعنى السياسى ، بل اريد بها اله اسمه (ملك) (نقلا عن جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الا سلام ، (بغداد : دار النهضة وبيروت : دار العلم للملايين ،١٩٧٠م) ج٦ ، ص ٣١٣ .

[٥٧] Grohmann , Araben , P, ٢٤٧ .

[٥٨]. جواد على ، مقومات الدولة العربية ، ص ٣٥ .

[٥٩] ثريا منقوش ، تاريخ الالهة ، ص ٢٨ .

حيث قدم (نشأ كرب يهمن) ملك سبأ أربعة وعشرين صنما لآلهة الشمس [٦٠] مثلها مثل الكهان ، ومثال ذلك ما فعلته الكاهنة (بسره) عندما قدمت تماثيل من ذهب للإله (عم ذريحو) [٦١] .

ومن هذا يتضح أن الوحدة بين السياسة والدين قويت إذا لم نقل وجدت ، في سلطة الملك ، الذي وصل به الحد إلى تغيير المعتقدات الدينية ، وهذا لا يقوم به إلا من كانت له سلطة دينية وسياسية واسعة ، ولذلك يبدو أن لفظة (مكرب) هي لقب مصغر لكلمة حاكم ، لكن الفرق بينهما هو أن (مكرب) يكون رئيسا لحلف من القبائل أو لمقاطعة صغيرة ، وربما رئيسا على مجوعة من الأقيال ، ومن المؤكد أن سلطة (المكرب) تكون محددة ضمن نطاق مجموعته التي جعلته قدوتهم السياسية والدينية ، أمّا لقب (ملك) فهو أحد الأسماء الآلوهية ، له سلطات سياسية ودينية أقوى وأوسع من لقب (مكرب) .

غير أننا نجد أن السلطات السياسية والدينية كانت مزدوجة منذ بداية نشوء المجتمع اليمني ، واستمرت إلى الإسلام ، ولهذا تميزت الحياة الدينية لليمن بطابع حضارة مستقرة بالغة الشأن لها شخصيتها البارزة واستقلالها في نطاق بيئتها وهي تختلف عن أحوال السكان في شمال شبه الجزيرة العربية اختلافاً واضحاً [٦٢] .

---

[٦٠] عنان ، زيد بن علي ، تاريخ حضارة اليمن ، (صنعاء : طبعة الروضة ، ١٣٩٦هـ) ص ٢٧٨ .

[٦١] ثريا منقوش ، تاريخ الالهة ، ص ٢٨ .

[٦٢] موسكاتي ، الحضارة السامية ، ص ١٩٦ .

ومن خلال قراءة النصوص ، تظهر لنا الحياة الهادئة المطمئنة التي يعيشها السكان وهم يقدمون الضحايا والقرابين إلى الإلهة [٦٣] التي يمثلها القمر (الأب) والإله الوطني للشعب والملك ، والشمس (الأم) والإلهة الحامية للعائلة ، والإله عثتر (الأبن) [٦٤] .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الثالوث يمثل تداخلا بين مرحلتين من مراحل تطور المجتمع ، فالقمر من معبودات المجتمع الرعوي المتنقل ، فهو الأب الأقرب إلى قلوب الرعاة والألصق بخيالهم من الشمس اللافحة ، فهو مرشدهم في الليالي حيث يرعون قطعانهم في ضوئه ، فيجلب لهم راحة النفس والهواء العليل [٦٥]، والندى الذي يبعث الحياة في العشب ويُنزل المطر من السماء [٦٦] أما الشمس فمن معبودات المجتمع الزراعي المستقر ، فهي التي تعطي النماء للزراعة وتنضج المحصول ، والزهرة من معبودات المجتمع الرعوي فيه الوسيلة التوضيحية في الصحراء حيث تتشابه الاتجاهات في الليل [٦٧]، وتزداد أهميتها عند اختفاء القمر، وكذلك من خلالها يمكن معرفة الوقت .

أما سبب هذا التداخل فهو : أن أرض اليمن منطقة زراعية في المقام الأول لكنها عرفت شيئا من الرعي في بعض مناطقها ، وهذا يمثل مرحلة

---

[٦٣] اغناطيوس غويدي ، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية ، ترجمة : ابراهيم السامرائي ، (بيروت : دار الحدثة ، ١٩٨٦م) ، ص ٨٧ .

[٦٤] Nielsen , D,Die . aethipoiseheh Goetter , P. ٥١٩ .

[٦٥] منذر البكر ، دراسة فى الميثولوجيا العربية ، ص ١٠٨ .

[٦٦] ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب ، ط ٢ ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٥ م) ، مج ، ص ١٠٢ .

[٦٧] Hitti , Philp , History of Arabs , London (١٩٦٤) , P . ٩٧ .

مبكرة قبل مرحلة الزراعة ، ولكن مع ذلك ظلت عبادة القمر متفوقة على عبادة الشمس ، وهذا في حد ذاته يمثل نوعا من استمرار العبادات حتى بعد أن يكون المجتمع قد تطور [٦٨]ولعل اليمنيين يعتقدون أن القمر هو الذي أوجد لهم هذا التطور في المجتمع المتنقل إلى المجتمع الأكثر استقرارا ، ولفضله استمروا في عبادته ، فوضعوه في المقام الأول ، ونجد في النقش الموسوم بـ (GL ١١٤٧) أن (المكرب سمه علي) يشكر الإله المقه (القمر) الذي قاده ومن معه من الفيافي والصحارى إلى أرض تفيض لبنا وعسلا [٦٩] .

وربما كان السكان يعتقدون في القمر وتقلب وجوهه ، أحسن ظاهرة طبيعية لتقسيم الزمن [٧٠] لذلك ربطوا بين القمر والحيض والولادة لانتظام الحيض في مواعيد قمرية [٧١]، ولهذا فهو محبب عند النساء [٧٢]، كما أنه رمزٌ لكل المعشوقات والحبيبات ، وهو الأرضي الذي ارتفع إلى السماء في الأساطير القديمة ليصبح الإله العاشق والمعشوق عند جميع شعوب الأرض [٧٣] .

---

(٦٨) يحيى ، العرب ، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٢ .

(٦٩) Phiiby , H, stj . B, The Background of IsIam , Alexandria (١٩٤٨) , P. ٣٧

(٧٠) انيس فريحة ، القيمة التاريخية لدراسة اسماء الامكنة والاعلام ، مجلة (ابحاث) ، ص ٤ ، ج١ (ص ٣٥ ــ ٤٠) ، (بيروت : ١٩٥١م) ، ص ٤٢ .

(٧١) العقاد ، محمود ، الله ، ط٣٠ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠م) ، ص ٣٦

(٧٢) ديورانت ، قصة الحضارة ، مج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٧٣) البياتي ، عادل ، تراث الحب في الادب العربي الاسلام ، (اداب المستنصرية) ، ع٧ (ص٨٥ ــ ١٦٣) ، (بغداد : الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٣م) ص ٨٨ .

ولعل السبب في ذلك راجع إلى عوامل جغرافية واقتصادية ، فالشمس محرقة ومتعبة ، ولهذا يفضلون السفر ليلا ، فيكون القمر هاديهم ودليلهم حيث يرعون ماشيتهم ، وفي ضوئه تسير قوافلهم التجارية إلى الشمال [٧٤] .

وأن رموز القمر متمثلة في الثور والنسر والوعل ، التي تدل على القوة والشراسة والجرأة والصبر وبُعد النظر والحماية ، وهي صفات ونعوت القمر ، ولهذا فضّلوه على الشمس ، حتى يُرهبوا خصومهم فضلا عن رهبتهم منه .

وبذلك امتزج الدين والسياسة للدفاع عن الوطن والشعب . كما أنه ليس عبثاً أن يطلق العرب لفظة (القمران) على القمر والشمس ، ولهذا يمكن القول إن الديانة اليمنية ديانة (قمرية) [٧٥] .

مفاتيح النقوش المستشهد بها ورموزها .

Sigla of the inscriptions cited

١ : A =نقوش كونتي اوستيني

٢ : AN = النقوش التي نشرها زيد بن علي عنان من كتاب (تاريخ حضارة اليمن القديم) القاهرة ١٩٦٧ م .

٣ : CIH= Corpus instructions Semiticrum Tom ١١١(١٨٨٩-١٩٢٧) (الكوربوس) مجموعة النقوش السامية (السبئية والحميرية)

٤ : M.T = محمد توفيق

---

[٧٤] دتتلف نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ٢٠٧ .

[٧٥] للتفصيل عن المعتقدات الدينية في اليمن القديم ، انظر : الموسوي ، جواد مطر ، الديانة اليمنية ومعابدها قبل الا سلام ، رسالة ماجستير غير منشورة (البصرة : جامعة البصرة ــ كلية التربية ، ١٩٨٩م) .

4 : M.T = = محمد توفيق

النقوش التي جمعها محمد توفيق ونشرت في جزئين عن المعهد الفرنسي في القاهرة (1951-1952م) تحت عنوان (نقوش خربة معين) .

5 : GL = (Glaser) النقوش التي جمعها الرحالة النمساوي ادور كلايزر

6 : JA = Albert Jammae النقوش التي جمعها وقرأها الأب البلجيكي البرت جامه والتي نشرت في كتابين

A- Sabaean Inscriptions from Mahrm Bilqis Beltimore (1962)

B- Sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi Arabia, Stud Semitici 23,Roma (1960).

7 : RES = Repertoire d'Epigraphie Semiticarum V-11 (1950-1928),. (الربيتوار)

مقالة في الكتابة السامية (وهي مجموعة نقوش) .

8 : YM = Yemen Museum Snaa نقوش متحف صنعاء

الرواية المكتوبة للشعر العربي قبل الإسلام

الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

الملخص:

على الرغم من وجود الكتابة في عصر ما قبل الإسلام وإجادة نسبة لابأس بها من أعيان العرب وقادتهم وفرسانهم ورجالاتهم ، فضلا عن كثير من الشعراء كانوا يجيدون القراءة والكتابة الا أن أكثر المهتمين بدراسة الأدب العربي الجاهلي يعتقدون انه وصل الينا عن طريق الرواية الشفوية وحدها وهذا ليس صحيحا اذ كانت هناك رواية مكتوبة ساهمت في نقل الأدب من عصر ما قبل الإسلام الى عصر تدوين الدواوين والمجاميع الشعرية الى جانب الرواية الشفوية ، ولكن المؤسف له ان الرواية المكتوبة لم تلق الاهتمام الذي حظيت به الرواية الشفوية من لدن النقاد والرواة ، وذلك لعدة أسباب لعل اشهرها أن معظم الرواة كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة ، فضلا عن عدم توفر أدواتها لظروف مثل ظروف القبائل العربية التي كانت تسعى بين الحل والترحال ، فضلا عن ذلك ان الرواية المكتوبة رواية موثقة لا يساورها الشك ولاتقبل الخطأ والجدل بخلاف الرواية الشفوية التي من خلالها تعرض الشعر العربي القديم الى مشكلات النحل والانتحال والسرقات واختلاف الروايات ، وقد تطرق الدكتور ناصر الدين الأسد الى الكتابة في اثناء دراسته مصادر الشعر الجاهلي ، فيما كتب الدكتور محمود عبدالله الجادر بحثا عن الكتابة قبل الأسلام (*) ولكنهما لم يتطرقا الى الرواية المكتوبة ووجودها قبل الأسلام وفي صدر الاسلام الى جوار أختها الرواية الشفوية ، لذلك أردت

(*) ينظر مصادر الشعر الجاهلي ، ومجلة المورد العدد الأول لسنة ٢٠٠١ م.

في بحثي هذا أن أميط اللثام عن الرواية المكتوبة واضعها في مكانها المناسب الذي تستحقه من خلال دراسة الكتابة ومستلزماتها وأداواتها مع ذكر شواهدها وصولا الى اثبات وجود الرواية المكتوبة ، ليكون الدارسون على بينة من ذلك ومن ثم اعزز البحث بالروايات التي اكدت وجود الرواية المكتوبة .

الكتابة والقراءة عند العرب وأدواتها :

عرف العرب الكتابة منذ زمن مبكر ، فقد روي عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) انه قال [١] :(أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان [٢] ، وهي قبيلة سكنوا الانبار وانهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة وهم : مُرامر بن مرة ، واسلم بن جدرة وعامر ابن جدرة فأما مُرامر فوضع الصور ، واما اسلم ففصل ووصل ، واما عامر فوضع الاعجام) ، اما ابن قتيبة فقد قال [٣] ، (حدثني ابو حاتم قال : مرامر بن مرة من أهل الانبار وهي الذي وضع الكتابة العربية ، ومن الانبار انتشرت في الناس) ، وبعد ذلك شاعت الكتابة في صفوف العرب ، اذ كان عدد كبير من وجوه العرب والشعراء والفرسان فضلا عن التجار يجيدون القراءة والكتابة ، فقد كانت القبائل العربية تكتب عهودها ومواثيقها واحلافها ، وقد اكد هذه الحقيقة القران الكريم في قوله تعالى[٤] : (ن ، والقلم وما يسطرون) فالنون حرف عربي مميز ذا صوت جهوري ، والقلم هو الاداة التنفيذية للكتابة ، ويسطرون تعني يكتبون وتعني السطور الكتابية ،

---

[١] مصحاف السجستاني :٤٩ ، ١١٧ ، الاشتقاق : ٥٤٢ الهامش رقم (١) ، فتوح البلدان ٥٧٢/٣.

[٢] بولان : هي احدى بطون الغوث الرئيسة من قبيلة طيء ، ينظر الاشتقاق : ٣٩٧ ، والمقتضب من جمهرة النسب : ٣٠٧ .

[٣] عيون الاخبار ، كتاب السلطان : ١٩٥٥م ، بيروت .

[٤] سورة القلم الآية : ١

وكذلك في قوله تعالى[٥] : (ياايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) ، وهذا يعني ان الكتابة شائعة ومعروفة والشعراء يعرفونها ويعرفون ادواتها ، اذ كانت منتشرة فى الحواضر فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وخيبر وتيماء ومدين ، وقد اكـد القـران الكريم انتشار الكتابة ولا سيما بين أهل الكتـاب مـن الأحبـار والرهبـان والقسيسين وغيرهم في قوله تعالى [٦](فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثـم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبـت ايـديهم) وهذا الأسود بن يعفر يقول [٧] :

سطور يهوديين في مهرقيهما   مجيدين من تيماء او أهل مدين

وقال الشماخ [٨] :

كما خط عبرانية بيمينه   بتيماء حبر ثم عرض اسطرا

أفعال الكتابـة :

وفعل الكتابة الرئيس هو (كتب) الا ان اللافت للنظر فـي الشـعر العربى ان الفعل المرادف (خط) كان أكثر استعمالا وشيوعا بيـنهم علـى الرغم من ان القران الكريم قد ساوى بين الفعلين (كتب ،خط) إذ ورد كـل منهما في القران الكريم والآية السابقة دلت على الفعل (كتب) فيما تدل الآيـة الآتية على الفعل (خط) ، إذ قال تعالى [٩] : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك) .

---

[٥] سورة البقرة الآية : ٢٨٢ .

[٦] سورة البقرة الآية : ٧٩ .

[٧] ديوانه : ٦٣ .

[٨] ديوانه : ٢٦ .

[٩] سورة العنكبوت الآية ٤٨ .

وفيما ياتي عرض لفعل الكتابة : (كتب) ومرادفاتها مرتبة حسب كثرة ورود شواهدها في الشعر العربي قبل الإسلام :ــ

أ ــ خط : والاسم خطاط اذ كان الكاتب يسمى خطاط فقد [١٠] (قرا حماد الراوية على ذي الرمة شعره ، قال : نراه قد ترك في الخط لاما فقال له ذو الرمة : اكتب لاما ، فقال له حماد : وانك لتكتب ؟ فقال: اكتم على فانه كان ياتي باديتنا خطاطا ، فعلمنا الحروف تخطيطا على الرمال في الليالي المقمرة ، فاستحسنتها ، فثبتت في قلبي ولم تخطها يدي) ، وقد احصيت للفعل (خط) أربعة عشر شاهدا اذ ساشيرالى أربعة في المتن ، والعشرة الأخرى في الهامش وهي كما ياتي :قال حاتم الطائي [١١] :

أتعرف إطلالا ونؤيا مهدما　　　كخطك في رق كتابا منمنما

وقال الزربقان بن بدر [١٢] :

هم يهلكون ويبقى بعد ماصنعوا　　　كأن اثارهم خطت باقلام

وهذا يدل على خلود الاعمال بعد الممات مثل خلود الكتابة .

وقال ابو طالب [١٣] :

الم تعلمو انا وجدنا محمدا　　　نبيا كموسى خط في اول الكتب

وقال خزز بن لوذان الدوسي [١٤] :

قد خط ذلك في الزبو..........ر الاوليات القدائم

---

[١٠] ادب الكاتب : ٦٢ .

[١١] ديوانه : ٢٣٣ .

[١٢] البيان والتبيين : ٣ / ١٧٩ .

[١٣] ديوانه : ١٠٧ .

[١٤] اللسان مادة : حم ، وينظر ديوان امرئ القيس : ٨٥ ، ٨٩، وديوان عمرو بن قميئة : ٥٠ ، وديوان الهذليين : ٣ / ٧٠ ، وديوان عدي بن زيد : ٧٣ ، وديوان حسان بن ثابت : وشرح ابن عقيل : ٢/ ٦٣ ، وديوان حميد بن ثور : ٩٧ ، وديوان الشماخ : ٢٦ .

ولعل من طرائف القول هو ما قاله عمرو بن احمر الباهلي [١٥] :

وحاجب كالنون فيه بسطة　　اجاده الكاتب خطا بالقلم

فقد شبه الشاعر حاجب حبيبته بالنون لانه مقعرا مثل الهـلال فأجـاد فـي تشبيهه.

ب ـ رقش : رقشه ، نقشه واتقنه ، والترقيش : التزيين ، والمرقش : الكاتب [١٦] وقد احصيت له أربعة شواهد هي : قال المرقش الأكبر:[١٧]

الدار قفز والرسوم كما　　رقش في ظهر الأديم قلم

وقال طرفة بن العبد [١٨] :

كسطور الرق رقشه　　بالضحى مرقش يشسمه

وقال الاخنس بن شهاب التغلبي [١٩] :

لابنة حطان بن عوف منازل　　كما رقش العنوان في الرق كاتب

وقال الحارث بن حلزة اليشكري [٢٠] :

ايها الناطق المرقش عنا　　عند عمرو وهل لذلـك بقـاء

ج ـ نمق : نمق الكتاب : كتبه ، أي زينة [٢١] ، وقد جـاءت فـي الشـعر العربي في ثلاثة شواهد هي : قال النابغة الذبياني[٢٢] :

---

[١٥] ديوانه : ١٤١ .

[١٦] اساس البلاغة مادة : رقش .

[١٧] شعره : ٨٨٤ .

[١٨] ديوانه ٧١ .

[١٩] الاخنس بن شهاب التغلبي وما بقي من شعره : ٢٦٣ .

[٢٠] ديوانه : ١١ .

[٢١] مختار الصحاح مادة : نمق .

[٢٢] ديوانه ضمن شرح الاشعار الستة الجاهلية : ٣٦١ .

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع

وقال معود الحكماء[٢٣] :

كتاب محبر هاج بصير ينمقه وحاذر ان يعابا

وقال سلامة بن جندل[٢٤] :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق

د ـ نمنم : نمنم الكتاب : قرمط خطه ، أي حسنه[٢٥] ، وقد وردت ثلاثة شواهد ساذكر اثنين منها في المتن واشير الى الثالث في الهامش قال بشر بن عليق الطائي[٢٦] :

اذاعت به الارواح حتى كأنما حسبت بقاباه كتابا منمنا

وقال ابو ذؤيب الهذلي[٢٧] :

فنمنم في صحف كالرياء ..... ط فيهن ارث كتاب محي .

هـ ـ كتب ولم اقف الا على شاهدين الاول منهما هو لعمرو بن احمر قال فيه[٢٨] :

ام لا تزال ترجي عيشة انفا لم ترج قبل ولم يكتب بها الزُبرُ

والثاني هو لعبد الله بن سليم الازدي قال فيه[٢٩] :

فبشط بسيان الرياغ كما كتب الغلام الوحي في الصخر

---

(٢٣) الاصمعيات : ٢١٣ .

(٢٤) ديوانه : ٥ .

(٢٥) اساس البلاغة مادة : نمنم .

(٢٦) قصائد جاهلية نادرة : ١٨٧ .

(٢٧) ديوان الهذليين : ١/ ٦٥ ، وينظر ديوان حاتم الطائي : ٢٣٣ .

(٢٨) شعره : ٩٦ .

(٢٩) قصائد جاهلية نادرة : ٢٠٠ .

فيما اختلفت دلالة الوحي عند زهير بن ابي سلمى فهيَ تعني عنــده الكتــاب وذلك في قوله[٣٠] :

لمن طل كالوحي عاف منازله ؟ عفا الرس منه فالرسيس فعاقله

و ــ زبر : زبرت الكتاب بالمزبر ، أي كتبت الكتاب بالقلم ،[٣١] وهو مشتق من الكتاب المقدس (الزبور) الذي ورد ذكره في الشعر العربي قبل الاســلام في شعر امريء القيس[٣٢] ، وخزز بن لوذان الدوسي[٣٣]وفي شعر امية بــن أبي الصلت في قوله[٣٤] :

وابرزوا بصعيد مستو جرز وانزل العرش والميزان والزبر

والفعل زبر جاء شاهده في شعر ابي ذؤيب الهذلي [٣٥]:

عرفت الديار كرقم الدوا٠٠٠٠٠٠٠ة يزبرها الكاتب الحميري

الكاتب ومرادفاته :

إما الشخص الذي يقوم بعملية الكتابة فيسمى كاتبا ،وهذا لبيد بن ربيعة يصف لنا الكاتب في قوله [٣٦] :

فنعاف صارة فالقنان كأنها زُبرٌ يرجعهــا وليد يمــان

متعــود لحــن يعيد بكفـــه قلما على عسب ذبلن وبــان

---

(٣٠) شعره : ٤٧ .

(٣١) اساس البلاغة مادة : زبر .

(٣٢) ديوانه : ٨٥ ، ٨٩ .

(٣٣) اللسان مادة / حم .

(٣٤) ديوانه : ٢٢٥ .

(٣٥) ديوان الهذليين : ١ / ٦٥ .

(٣٦) ديوانه : ٢٠٦ .

والوليد اليماني هو الكاتب ، لأن اهل اليمن يعرفون القـراءة والكتابـة قبـل غيرهم من القبائل العربية وان هذا الكاتب يمسك قلما ويكتب به على سـعف النخيل المكشوط ، وقد ورد الكاتب يعدة تسميات هي كما يأتي : ـ

والوليد اليماني هو الكاتب ، وقد ورد الكاتب بعدة تسميات هي كما يأتي :

١ـ كاتب وهي المفردة الصريحة الدالة على فاعل الكتابة وقد وردت كثيـرا في الشعر العربي منها :

قول سلامة بن جندل[٣٧] :

اكب عليه كاتب بدواته   وحادثة في ألعين جدة مهرق

وقول الاخنس بن شهاب التغلبي[٣٨] :

لابنة حطان بن عوف منازل   كما رقش العنوان في الرق كاتب

وقول معقل بن خويلد[٣٩] :

واني كما قال مملي الكتا........ ب في الرق إذ خطه الكاتب

وقد جاءت عدة الفاظ مرادفة للفظة كاتب هي :

٢ـ صانع : وجمعها صوانع ، والصانع هو الذي يصنع الكتابة وقـد جـاء شاهده في شعر النابغة الذبياني[٤٠] :

كأن مجر الرامسات ذيولها   عليه قضيتم نمقته الصوانع

٣ـ مرقش : وجاء شاهده في قول طرفة بن العبد[٤١] :

كسطور الرق رقشه   بالضحى مرقش يشمه

---

[٣٧] ديوانه : ٥ .

[٣٨] الاخنس بن شهاب التغلبي وما بقي من شعره : ٢٦٣ .

[٣٩] ديوان الهذليين : ٣/ ٧٠ وينظر المصدر نفسه : ١/ ٦٥ .

[٤٠] ديوان ضمن شرح الاشعار الستة الجاهلية : ٣٦١ .

[٤١] ديوانه : ٧١ .

٤ــ هاجي : من هجأ المدود ، تهجيت الحرف وتهجيته ، قرأته ، وهو بمعنى كاتب وقارئ فيهجو الكتاب يقرأه[٤٢] قال معود الحكماء[٤٣] :

كتاب محبر ، هاج بصير ينمقه وحاذر ان يعابا

أي ان هذا الكتاب هو كتاب حسن كتبه قارئ خبير ، حرص جهد مقدرته ان يخلو من العيوب .

٥ــ مذهب : من التذهيب أي الكتابة بماء الذهب ، قال لبيد بن ربيعة[٤٤] :

أو مذهب جدد على الواحهــ...... ـن الناطق المبروز والمختوم

الكتاب ومرادفاته :

أما ما ينتج عن عملية الكتابة فقد ورد بعدة تسميات اشـــهرها الكتـــاب فقـــد أحصيت له اكثر من اثني عشر شاهدا سأذكر في المتن منها ستا وأشير الـــى الأخرى في الهامش ، وهي كما يأتي :

قال عبيد بن الأبرص[٤٥] :

لمن الدار أقفرت بالجناب غير نؤي ودمنة كالكتاب

وقال عدي بن زيد العبادي[٤٦] :

تعرف أمي من لميس الطللْ مثل الكتاب الدارس الأحولْ

وقال عدي ايضا[٤٧] :

ناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفع

---

(٤٢) اللسان مادة :هجا .

(٤٣) الاصمعيات : ٢١٣ .

(٤٤) ديوانه : ١٥١ .

(٤٥) ديوانه : ٤١ .

(٤٦) ديوانه : ١٥٧ .

(٤٧) ديوانه : ١٤٧ .

واراد عدي بكتاب الله الانجيل على اعتبار انه على ديانة النصرانية،فيما جائت لفظة الانجيل صريحة في شعر عدي بن زيد مصحوبة بلفظة نقراءه في قوله [٤٨]:

واوتيا الملك والانجيل نقراءه   نشفى بحكمته احلامنا عللا

وقال تميم بن ابي مقبل [٤٩]:

منهن معروف ايات الكتاب وقد   تعتاد تكذب ليلى ما تمنينا

وقال لقيط بن يعمر الايادي [٥٠]:

هذا كتابي اليكم والنذير لكم   لمن راى راية منكم ومن سمعا

وقال عبيد بن عبد العزى السلامي [٥١]

رسوما كايات الكتاب مبينة   بها للحزين الصب مبكى وموقف

وجاءت بصيغة الجمع في شعر امريءالقيس [٥٢]:

ام هيجتك ديار الحي اذ ظعنوا   عنها كان بعمايا رسمها كتب

وفيما ياتي عرض لمسميات الكتاب الاخرى وكما وردت في الشعر العربي قبل الاسلام :

١ــ مصاحف : وهي جمع مصحف وقد وردت في شعر امريء القيس[٥٣] :

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت   كخط زبور في في مصاحف الرهبان

---

(٤٨) ديوانه : ١٦٠ .

(٤٩) ديوانه : ٣١٥ .

(٥٠) ديوانه : ٥٠ .

(٥١) قصائد جاهلية نادرة : ١٢٥ ، ١٨٧ ، وينظر ديوان امرئ القيس : ٣٠٠ ، وديوان حاتم الطائي : ٢٣٣ ، ديوان الهذليين : ١/ ٦٥ ، ٣/ ٧٠ ، ديوان عمرو بن قميئة : ٥٠ ، شعر ربيعة بن مقروم الضبي ضمن شعراء اسلاميون : ٢٦٦ .

(٥٢) ديوانه : ٣٠٠ .

(٥٣) ديوانه : ٨٩ .

٢ــ صحف وجاء شاهده في شعر أبي ذويب الهذلي [٥٤]:

فنمنم في صحف كالريا٠٠٠٠٠ ط فيهن ارث كتاب محي

وكذلك في شعر قيس بن الخطيم[٥٥] :

لما بدت عدوة جباهم حنت الينا الارحام والصحف

وعنى بذلك قيس بن الخطيم الزيجات المتبادلة بين الاوس والخــزرج ومــا يترتب عليها من الخؤولة والعمومة ، فضلا عن العهود والمواثيق المكتوبــة بين الطرفين .

وقال بشر بن أبي خازم [٥٦] :

كأنها بعد عهد العاهدين بها بين الذنوب وحرجي واحف صحف

وكذلك جاءت مفردة الصحيفة بصيغة جمع المؤنث السالم في شعر عمرو بن قميئة[٥٧] :

اكنوا خطوبا قد بدت صــفحاتها وافئــدة ليســت علــى بــأراف

٣ــ صحيفة وهي مفرد صحف وقد جاءت فــي شــعر لقــيط بــن يعمــر الايادي [٥٨] :

سلام في الصحيفة من لقــيط الــى مــن بــالجزيرة مــن ايــاد

وفي قول مسعود بن عبد الله بن علبة الطائي [٥٩] :

أمن طلل عاف تبسمت ضاحكا لرياء كخاء بالصحيفة اعجما

---

(٥٤) ديوان الهذليين : ١ / ٦٥ .

(٥٥) ديوانه : ١١٧ .

(٥٦) ديوانه : ١٣٦ .

(٥٧) ديوانه : ٧٧ .

(٥٨) ديوانه : ٢٨ .

(٥٩) الاشتقاق : ٣٨٢ الهامش الاول .

وفي قول علباء بن ارقم[٦٠] :

أخذت لدين مطمئن صحيفة   وخالفت فيها كل من جار او ظلم

أي انه اخذ صكا ليضمن حقه ويقيم الحجة على المدين اذا انكر او رفض تسديد الدين .

وفي قول المخبل السعدي حينما تغزل بوجه حبيبته[٦١] :

وتريك وجها كالصحيفة لا   ظمآن مختلج ولا جهم

واما صحيفة المتلمس فهي اشهر من ذلك ، اذ كتب له عمرو بن هند صحيفة الى عامله على البحرين ، فعرض المتلمس الصحيفة على احد فتيان الحيرة ليقرأها له فقال له : انه كتب فيها : اما بعد فان أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا ، فقذف المتلمس الصحيفة في نهر الحيرة وقال[٦٢] :

قذفت بها بالثني من جنب كافر   كذلك اقنو كل قط مظلل

٤ـ المهارق : وهي جمع مهرق وتعني الصحيفة باللغة الفارسية[٦٣] وقد جاء شاهدها في شعر الاعشى[٦٤] :

ربي كريم لا يكدر نعمة   واذا يناشد بالمهارق انشدا

ويعني بالمهارق : الكتب السماوية على افتراض ان الاعشى كان نصرانيا ، والمناشدة هنا تعني الدعاء .

وفي شعر الحارث بن حلزة اليشكري[٦٥] :

---

(٦٠) الاصمعيات : ١٥٩ .

(٦١) عشرة شعراء مقلون : ٧١ .

(٦٢) مختارات شعراء العرب : ١٢٩ .

(٦٣) مختار الصحاح مادة : هرق ، المهرق : ثوب جديد ابيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، المخصص : ٢٣ / ٩٠٨ .

(٦٤) ديوانه : ٥٢ .

(٦٥) ديوانه : ٨١ .

لمن الديار عفون بالحبس   آياتها كمهارق الفرس

وهذا يعني ان الحارث لم يكتف بمعرفة الكتابة العربية بل اطلع على الكتابة الفارسية ، وقال ايضا[٦٦] :

حذر الجور والتعدي ولن ين ..... نقض ما في المهارق الاهواءُ

وعني بذلك العهود والمواثيق المدونة في الكتب .

وقال ربيعة بن مقروم الضبي[٦٧] :

كأنها بعه عهد العاهدين بها   مهارق العجم او موشية الحلل

٥ــ مهرق : وهي مفرد المهارق وقد جاء شاهدها في شعر سلامة بن جندل[٦٨] :

أكب عليه كاتب بدواته   وحادثة في العين جدة مهرق

وقوله[٦٩] :

لبس الروامس والجديد بلاهما   فتركن مثل المهرق الاخلاق

والمهرق الاخلاق تعني الكتاب القديم :

وفي شعر شتيم بن خويلد الفزاري[٧٠] :

تسمع الاصوات كدري الفراخ به   مثل الاعاجم تغشي المهرق القلما

٦ــ الالواح : وجاء شاهدها في شعر النابغة الذبياني[٧١] :

وابدت عن وشوم كأنها   بقية الواح عليهن مذهب

---

(٦٦) ديوانه : ١٣ .

(٦٧) شعره ضمن شعراء اسلاميون : ٢٧٦ .

(٦٨) ديوانه : ٥ .

(٦٩) ديواه : ١٥ .

(٧٠) النقائض : ١٠٦ .

(٧١) ديوانه : ٦٠ .

والالواح تعني الصحف والمذهب هو نوع الخط الذي كتبت به تلك الصحف وفي شعر لبيد بن ربيعة(٧٢) :

أو مذهب جدد على ألواحهـ ....ـن الناطق المبروز والمختوم

٧ـ الدفتر : الدفاتر معروفة عندهم وتعني السجلات ، فقد ذكر الخليفة الراشدي عمر ابن الخطاب (ﷺ) عندما كلمه وفد بني عدي في امر عطائهم قال(٧٣) :

(لا والله حتى تأتيكم الدعوة وان اطبق عليكم الدفتر) أي الى ان يأتي دوركم واعطيكم ما مدون في سجل عطاء المسلمين ، واما شاهده الشعري فهو شعر جندل ابن مثنى الطهوي(٧٤) :

هلا بالحجر يا ربيع تبصر   ودقا قضي الدين وجف الدفتر

٨ ـ الكراسة : وهي مجموعة اوراق تستخدم للكتابة وشاهدها قول الضحاك(٧٥) :

(لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف) .

٩ـ القرطاس : وهو جلد ابيض يكتب فيه وجاء شاهده في شعر طرفة بن العبد(٧٦) :

ووجه كقرطاس الشامي ومشفر   كسبت اليماني قده لم يجرد

أي ان لها وجها أبيضا كبياض القرطاس قبل ان يكتب عليه .

---

(٧٢) ديوانه : ١٥١ .

(٧٣) طبقات ابن سعد : ٣ / ١ : ١٢١ .

(٧٤) ادب الكاتب : ١٠٨ .

(٧٥) تقييد العلم : ٤٧ .

(٧٦) ديوانه ضمن شرح الاشعار الستة الجاهلية : ٢٧ .

١٠ـ المجلة : وهي اصغر حجما من الكتاب وجاء شاهدها في شعر النابغة الذبياني[٧٧] :

مجلتهم ذات الإله ودينهم　　قويم فما يرجون غير العواقب

اراد بالمجلة الكتاب والذات كناية عن الساعة ، وذلك لانهم كانوا نصارى وكتابهم الانجيل ، وهم لا يخافون الا عواقب اعمالهم ، وفي حديث سويد بن الصمت[٧٨] :

انه قال لرسول الله محمد (ص) : لعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال : وما الذي معك ؟ قال سويد : مجلة لقمان ، فقال رسول الله (ص) : اعرضها عليَ ، فعرضها عليه ، فقال له : ان هذا لكلام حسن والذي معي افضل من هذا ، قرآن انزله الله تعالى ، هو هدى ونور .

١١ـ القط : وتعني الكتاب وشاهده قول المتلمس[٧٩] :

قذفت بها بالثني من جنب كافر　　كذلك أقنو كل قط مضلل

والقط : الكتاب ، وكذلك ، وكذلك يعني القط الصك وجمعه قطوط ، قال الاعشى[٨٠] :

ولا الملك النعمان يوم لقيته　　بامته يعطي القطوط ويأفقُ

والقطوط هي الصكوك[٨١] وقد اكد هذا المعنى قوله تعالى[٨٢] :

---

(٧٧) ديوانه ضمن شرخح الاشعار الستة الجاهلية : ٣٩٠ .

(٧٨) سيرة ابن هشام : ٢/ ٦٨ ، الفائق : ٤ / ٢٠٦ .

(٧٩) مختارات شعراء العرب : ١٢٩ .

(٨٠) ديوانه : ١١٨ .

(٨١) القطوط : الصكوك ، الاقتضاب في ادب الكاتب : ٩٣ .

(٨٢) سورة ص الآية : ٣٦ .

(وقالوا : ربنا عجل لنا قطنا قبل الحساب) أي قدم لنا صك حسابنا قبل يوم القيامة لتعرف صحة موقفنا من عدمه .

أدوات الكتابـــــة :

أما الاداة التنفيذية للكتابة فهي القلم وقد وردت شواهده بصيغة الجمع في شعر الزبرقان بن بدر[٨٣] :

وهم يهلكون ويبقى بعد ما صنعوا   كان آثارهم خطت بأقلام

وفي شعر لبيد بن ربيعة[٨٤] :

وجلا السيول عن الطلول كأنها   زبر أجد متونها اقلامها

أما في صيغة المفرد فقد وردت في ستة شواهد سأذكر اثنين منها في المتن واشير الى الاخرى في الهامش ، قال معود الحكماء[٨٥] :

من الاجراع اسفل من نميل   كما رجعت بالقلم الكتابا

وقول شتيم بن خويلد الفزاري[٨٦] :

تسمع أصوات كدري الفراخ به   مثل الاعاجم تغشي المهرق القلما

واما ادوات الكتابة الاخرى فهي كما يأتي : ـ

١ــ الورق : وكانت صناعته معروفة عند العرب ، فهذا مطر بـــن طهمـــان مولى الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) يسمى مطر الوراق[٨٧] وقد أوصى المهلب بن ابي صفرة بنيه الا يقيموا في الاسواق الا على

---

[٨٣] البيان والتبيين : ٣ / ١٧٩ .

[٨٤] ديوانه : ١٦٥ .

[٨٥] الاصمعيات : ٢١٣ ، شعر المرقش الاكبر ، ديوان عدي بن زيد : ١٦٩ .

[٨٦] النقائض : ١٠٦ .

[٨٧] مصاحف السجستاني : ١٧٧ .

زراد او وراق[٨٨] ، واما شاهده الشعري فقد ورد في شعر حسان بن ثابت[٨٩] :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب

٢ــ الرق : وهو مصنوع من الجلود وهي صحيفة بيضاء يكتب عليها[٩٠] وهي رقيقة وسميكة وقد مرت عليها شواهد كثيرة ، وقد جاءت لفظة الرق في القرآن الكريم في قوله تعالى[٩١] : (والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور) .

٣ــ الاديم : وهو نوع من الجلود الرقيقة المدبوغة ، حمراء اللون ، وقيل هي الجلود السمراء المائلة الى السواد ، وقد مر شاهده في شعر المرقش الاكبر[٩٢] .

٤ــ القضيم : وهو جلد رقيق أبيض ، وشاهده مر في شعر النابغة الذبياني[٩٣] ، وفي شعر زهير بن أبي سلمى[٩٤] :

كأن دماء المؤسدات بنحرها أطبة صرف في قضيم مصرد

والقضيم هنا الجلد الابيض المنقوش عليه باللون الاحمر ، كما وردت بصيغة المؤنث في قول إمرئ القيس[٩٥] :

وعادى بين ثور ونعجة وبين شبوب كالقضيمة قرهب

---

(٨٨) الحيوان : ١ / ٥٢ .

(٨٩) ديوانه : ٧٠ .

(٩٠) مختار شعراء العرب : ٤٣ ، القاموس مادة : رق .

(٩١) سورة الطور الآيات : ١ ــ ٣ .

(٩٢) شعره : ٨٨٤ .

(٩٣) ديوانه ضمن الاشعار الستة الجاهلية : ٣٦١ .

(٩٤) شعره : ١٨٦ ، الاطبة : الجلد ، صرف صبغ احمر ، قضيم : ابيض ، مصرد : المخروز .

(٩٥) ديوانه : ٥٢ .

والقضيمة هنا الصحيفة ، والشبوب والقرهب : الثور الفتي القوي .

٥ـ العسيب : هو سعف النخيل المكشوط ، قال امرؤ القيس[٩٦] .

لمن طلل أبصرته فشجاني   كخط زبور في عسيب يمان

٦ـ عبرانية : وتعني الورقة عند الاحبار وشاهدها في شعر الشماخ[٩٧]

كما خط عبرانية بيمنيه   بتيماء حبر ثم عرض اسطرا

٧ـ الوحي : واما الكتابة والنقش على الحجر فيسمى الوحي وقد جاء شاهده في شعر زهير ابن أبي سلمى قوله[٩٨] :

لمن الديار غشيتها بالفدفد   كالوحي في حجر المسيل المخلد

وفي قول زهير ايضا[٩٩] :

لمن طلل كالوحي عاف منازله   عفا الرس منه فالرسيس فعاقله

وفي شعر لبيد بن ربيعة[١٠٠] :

فمدافع الريان عريّ رسمها   خلقا كما ضمن الوحي سلامها

واراد لبيد بالوحي الكتابة ، والسلام هي الحجارة .

٨ ـ ومن أدوات الكتابة الأخرى الدواة : وهي وعاء يحفظ السائل المستخدم في الكتابة وقد مر شاهدها في شعر سلامة بن جندل[١٠١] وشعر أبـي ذؤيب الهذلي[١٠٢] اما ما قاله عبد الله بن عنمة فهو[١٠٣] :

---

(٩٦) ديوانه ٨٥ .

(٩٧) ديوانه : ٢٦ .

(٩٨) شعره : ٢٢٩ .

(٩٩) شعره : ٤٧ .

(١٠٠) ديوانه : ١٣٦ .

(١٠١) ديوانه : ١٥ .

(١٠٢) ديوان الهذليين : ١ / ٦٥ .

(١٠٣) الاصمعيات : ٢٢٦ .

فلم يبق الا دمنة ومنازل   كما رد في خط الدواة مدادها

والمداد هو السائل او الحبر المستخدم في الكتابة . والنقس هو احد انواع الاحبار المستعملة في الكتابة وقد جاء شاهده في شعر حميد بن ثور[١٠٤] :

لمن الديار بجانب الحبس   كخط ذي الحاجات بالنقس

الشعراء الكتاب :

ومن الشعراء الذين كانوا يكتبون : سويد بن الصامت الاوسي الذي كانت لديه مجلة لقمان[١٠٥]كتبت فيها حكمة لقمان[١٠٦] ، وعبد الله بن رواحة[١٠٧] ، وكعب بن مالك[١٠٨] ، والربيع بن زياد العبسي ، وكان هو واخوته من الكملة ، ومن صفات الكامل في الجاهلية ان يحسن الكتابة[١٠٩] والزبرقان بن بدر[١١٠] ، والنابغة الذبياني الذي كتب قصائده الاعتذارية وارسلها الى النعمان بن المنذر[١١١] ، وكعب بن زهير واخوه بجير[١١٢] والمرقش الاكبر واخوه حرملة ، تعلموا الكتابة والخط في مدارس الحيرة[١١٣] وعدي بن زيد العبادي ، كان كاتبا ومترجما فهو يجيد الفارسية فضلا عن

---

(١٠٤) ديوانه ٩٧ .

(١٠٥) الأغاني : ٣ / ٢٥ .

(١٠٦) الفائق : ١ / ٢٠٦ ، اللسان مادة : جلل .

(١٠٧) طبقات ابن سعد : ٢ / ٣ / ٧٩ .

(١٠٨) المحبر : ٢٧١ ــ ٢٧٢ .

(١٠٩) الاغاني : ١٦/ ٢٢ ــ ٢٣ ، امالي المرتضى : ١/١٣٦ ، شرح شواهد المغنى : ٦٨ .

(١١٠) الاغاني : ٢ / ١٨٠ .

(١١١) خزانة الادب : ١ / ٣٥٠ .

(١١٢) شرح ديوان كعب بن زهير : ٤ ــ ٥ .

(١١٣) المفضليات : ٤٥٩ ــ ٤٦٠ ، الاغاني ٦ /١٣٠ ، الشعر والشعراء : ٢١١ .

العربية[١١٤] ، اذ كان عدي على الديانة النصرانية وهو من عباد الحيرة ، وقد قرأ وكتب[١١٥] والشاعر مسعود بن عبد الله بن علبة الطائي الذي كان يعرف رسم الحروف العربية فقال يصف طلل محبوبته[١١٦] :

أمن طلل عاف تبسمت ضاحكا   لرياء كخاء في الصحيفة أعجما

وهناك شعراء كثيرون .

الرواية المكتوبـــة :

بعد ان استعرضنا الكتابة ومستلزماتها تأكد لنا باليقين ان الكتابة كانت منتشرة في عموم الجزيرة العربية والعراق والشام ، وذلك من خلال الشواهد الانفة الذكر ، ولا بد من الاشارة الى ان السيد البطليوسي[١١٧] ذكر ان العرب قد عرفوا أنواع الخط ، فأهل الحيرة كان خطهم يعرف بخط الجزم ، وهــو خط استخدام فيما بعد في كتابة المصاحف ، وخط اهل الانبار يسمى المشق ، وخط اهل الشام يسمى الجليل ، والان لنرى دور الكتابة في الرواية المكتوبة وكيف قامت الرواية المكتوبة وبكل ثقة وامانة بنقل التراث من عصر ما قبل الاسلام الى عصر التدوين ، وان كانت نسبته تقل كثيرا عن الرواية الشفوية ولعل اقدم الاشارات الى وجود رواية مكتوبة يتمثل في قصة لقيط بن يعمــر الايادي مع كسرى وقيامه بكتابة رسالتين شعريتين الى قومه ، كانت الأولى موجزة جاء فيها[١١٨] :

سلام في الصحيفة من لقيط   الى من بالجزيرة من اياد

---

(١١٤) الاغاني : ٢ / ١٠١ ــ ١٠٢ ، الشعر والشعراء : ٢٢٨ ــ ٢٣٠ .

(١١٥) الاغاني : ٢ / ١١٨ .

(١١٦) الاشتقاق : ٣٨٢ ، الهامش رقم (١) .

(١١٧) مصاحف السجستاني : ١٣٤ .

(١١٨) ديوانه : ٢٨ ــ ٢٩ .

بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد

أتاكم منهم ستون ألفا يزجون الكتائب كالجراد

على حنق أتينكم فهذا أوان هلاككم كهلاك عاد

والصحيفة تعني هنا الرسالة المكتوبة ، ولما لم يعر قومه لرسالته اهتماما ولم يأخذوا تحذيره لهم مأخذ الجد ، كتب لهم رسالة ثانية مطولة اربت على الخمسين بيتا ، فصل فيها لهم الخطر القادم نحوهم وكان مطلع الرسالة :

يا دار عمرة من محتلها الجرعا هاجمت لي الهم والاحزانا الوجعا

فهو في هذا البيت يسطر لنا الهموم العالقة في صدره وما تسببه له من الآم وأوجاع ، ويختم رسالته بقوله(١١٩) :

هذا كتابي اليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

علما أن هذه القصيدة تمثل اطول قصيدة وصلت الينا مكتوبة ، وانها قد تجاوزت المدة التي حددها الجاحظ لعمر الشعر بمئتي سنة الى مائة وخمسين سنة ، اذ ان هذه القصيدة قيلت وكتبت قبل الاسلام باكثر من مائتين وثلاثين سنة(١٢٠) .

اما شعراء مدرسة الصنعة ، او فيما يعرف بعبيد الشعر (اوس بن حجر زهير بن أبي سلمى ، كعب بن زهير ، الحطيئة) وكانوا يكتبون قصائد الحوليات ليتسنى لهم مراجعتها وتنقيحها وتهذيبها وتشذيبها قبل ان يقوموا بانشادها ، وكذلك كان يفعل الشاعر طفيل الغنوي مع شعره لذلك سمي بالمحبر(١٢١) ، فيقوم بتشذيبه وتنقيحه من عوالق القول ، وذلك قبل انشاده وهذا يستدعي كتابته .

---

(١١٩) ديوانه : ٥٠ .

(١٢٠) في سنة ٣٨٠م قتل كسرى لقيطا بن يعمر الايادي ، ينظر ديوانه : ٩ .

(١٢١) الفائق : ١/ ٥٤١ ، العمدة : ١ / ١٣٣ .

كما كان ملوك المناذرة يكتبون الشعر الذي يمدحون به ، ويودعونه في حزانة القصر الابيض ، وكان الكتاب من آل نصر بن ربيعة ، وعندما قامت ثورة المختار بن عبيد الثقفي ، قيل له : ان تحت القصر الابيض كنزا فاحتفره ، فاذا به رقوق وقراطيس شعرية قيلت بمديح ملوك الحيرة ، فمن ثم اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة[١٢٢] ، وكذلك كان نافع بن الازرق يكتب اجابات عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) عن سؤلاته وكل اجاباتها هي من الشعر الذي سبق الاسلام او قيل في حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والكتاب مطبوع وهو قيد التداول[١٢٣] ، وهناك رأي يقول : ان المعَلقات كتبت بماء الذهب وعلقت على جدران الكعبة[١٢٤] .

اما الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) فكان من رواة الشعر في روايته المكتوبة فقد ذكر الزمخشري ان طلحة كان يشنق ناقته حتى يكتب له الشعر الذي سمعه[١٢٥] ، والصحابي الجليل لبيد بن ربيعة (رضي الله عنه) كان يكتب شعره ، فقد كتب الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى المغيرة بن شعبة عامله على الكوفة ان يستنشد الشعراء بعض ما قالوه في الاسلام ، فلما سأل لبيد ، قال له : ان شئت من اشعار الجاهلية ، فذهب وكتب سورة البقرة في صحيفة ، وقال : أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر[١٢٦] ، كما كان عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) من رواة

---

[١٢٢] الخصائص : ١ / ٣٩٢ ، تاريخ الطبري : ٢/ ٣٧ ، المزهر : ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ ، وينظر طبقات فحول الشعراء : ٢٥/١ اذ قال ابن سلام الجمحي : كان عند النعمان بن المنذر اشعار الفحول وما مدح هو واهل بيته به ، فصار ذلك الى بني مروان .

[١٢٣] ينظر كتاب سؤالات نافع بن الازرق لعبد الله بن عباس .

[١٢٤] العمدة : ١ / ٩٦ .

[١٢٥] الفائق : ١ / ٦٧٧ ، اساس البلاغة مادة : شنق .

[١٢٦] ديوانه : ١١ .

الرواية المكتوبة فضلا عن الرواية الشفوية ، فقد حاج ابن عباس[١٢٧] عمرو بن العاص في مجلس معاوية في قوله تعالى[١٢٨] :

(حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) ، فقال عمـــرو: تغرب في عين حامية ، وقال ابن عباس في عين حمئة ، فلما خـــرج فـــاذا برجل من الازد قال له : بلغني ما بينكما ولو كنت عندك افدتك بابيات قالهـــا تبع :

فرأى مغار الشمس عند غروبها   في عين ذي خلب وثاط حرمد[١٢٩]

فقال ابن عباس لغلامه : اكتبها ، وثاط تعني حمئة .

وقصص عبيد بن شرية واخباره واحاديثه عـــن وقـــائع العـــرب، واخبارهـــا واشعارها ، معروفة ويتداولها الرواة والاخباريون ، فقد ذكروا ان معاوية بن أبي سفيان كانُ يعقدُ له مجلس[١٣٠] .

ويأمر اهل ديوانه وكتابه أن يوقعوا هذه الاحاديث ويـــدونوها فـــي الكتـــب وينسبوها الى عبيد بن شرية وقد قال معاوية لعبيد[١٣١] : سألتك الا تمر بشعر تحفظه فيما قاله احد الا ذكرته ، ثم شدد عليه القول[١٣٢] :سألتك الا شـــددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ولو ثلاثة أبيات ، كما كتب عبيد بن شـــرية

---

(١٢٧) الفائق : ١ / ٢٩٧ .

(١٢٨) سورة الكهف الآية : ٨٦ .

(١٢٩) الخلب : الطين اللزج ، الثأط : الحمئة ، الحرمد : الاسود .

(١٣٠) اخبار عبيد بن شرية : ٣١٢ ــ ٣١٣ ، الفهرست : ١٣٢ .

(١٣١) اخبار عبيد بن شرية : ٣١٤ .

(١٣٢) المصدر نفسه : ٣١٨ .

كتابا عن امثال العرب[١٣٣] ، كذلك كتب صحار بن عياش العبيدي كتابا عن الامثال[١٣٤] .

وفي ذات مرة قال معاوية بن أبي سفيان لجلسائه[١٣٥] : أيكم ينشدنا قصيدة أنصف فيها صاحبها ، فقالوا فأكثروا ، فلم يأتوا بشيء فقال : يا غلام هات تلك الرقعة ، وقرأ عليهم قصيدة المفضل العبدي .

بكل قرارة منا ومنهم — بنان فتى وجمجمة فليق

فأشبعنا الضباع واشبعوها — فراحت كلها تيق تفوق

قتلنا الفارس الوضاح منهم — كأن فروع لمته العذوق

وقد قتلوا به منا غلاما — كريما لم تحنه العروق

فأبكينا نساءهم وأبكوا — نساء ما يسوغ لهن ريق

والقصيدة من المنصفات .

وكان الفرزدق يمتلك نسخة من ديوان زهير بن أبي سلمى[١٣٦]، وعندما حدثت جفوة بين النعمان بن المنذر والشاعر النابغة الذبياني ، بسبب ذهاب النابغة الى الشام ومدح ملوك الغساسنة من اجل فكاك الاسرى من قومه وقد استغل الوشاة ذلك وصوروه للنعمان على انه خيانة ، فغضب على النابغة فكتب له النابغة قصيدته الاعتذارية المشهورة[١٣٧] :

حلفت ولم اترك لنفسك ريبة — وليس وراء الله للمرء مذهب

---

(١٣٣) الفهرست : ١٣٢ .

(١٣٤) الفهرست : ١٣٢ ، البيان والتبيين : ١ / ٩٦ .

(١٣٥) حلية المحاضرة : ١ / ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

(١٣٦) The use of writing for the preservation of Ancient Arabic poetry: ٢٢٦

(١٣٧) المحاسن والاضداد : ١٧٠ .

لئن كنت قد بلغت عني خيانة   لمبلغك الواشي اغش واكذب

وهذا محمد بن سلام الجمحي يذكر في معرض حديثه قصيدة ابي طالب التي مدح بها رسول الله (ﷺ) : ــ

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه   ربيع اليتامى عصمة للأرامل

أنه رأى هذه القصيدة مدونة في كتاب كتبه يوسف بن سعد الجمحي منذ اكثر من مئة سنة ، وقد سألني الاصمعي عنها ، فقلت لــه صــحيحة جيــدة[١٣٨] والقصيدة رواها ابن هشام[١٣٩] وهي في ديوان ابي طالب[١٤٠] ويوسف بــن سعد الجمحي هو ابو يعقوب روى الحديث عن عمر وعلي وزيد بن ثابت[١٤١] وبذلك هو من التابعين ، وعند ذلك ارجح انه كتب كتابه في الثاني من القرن الهجري الاول .

الرسائل الشعرية :

أما الشعر المدون في الرسائل الشعرية فهو كثير لا مجال لحصره ، وسوف نكتفي بعدة نماذج على سبيل الشواهد ثم نشير في الى عدد اخر منها في مصادره وهي كما يأتي :

١ــ لما طال حبس عدي بن زيد في حبس النعمان بن المنذر كتب الى اخيه ابي الذي كان يعمل في بلاط كسرى رسالة شعرية[١٤٢] جاء فيها[١٤٣] :

أبلغ أبيا على نأيــه   وهل ينفع المرء ما قد علــم

---

[١٣٨] طبقات فحول الشعراء : ٢٤٤ ــ ٢٤٥ .

[١٣٩] السيرة النبوية : ٢٩١ ــ ٢٩٢ .

[١٤٠] ديوانه : ٨٥ ــ ٩٤ .

[١٤١] تهذيب التهذيب : ١١ / ٤١٣ .

[١٤٢] الاغاني : ٢ / ١١٨ ــ ١٢٠ ، ديوانه : ١٦٤ .

[١٤٣] ديوانه : ١٦٤ .

بأن اخاك شقيق الفــؤا...... د كنت به واثقــا ما سلم

لدى ملك موثق في الحديد امــا بحق وامــا بظلــم

فلا اعرفنك كذات الغــلا .... مما تجد عارما تعتــزم

فأرك ارضك ان تأتنــا تنم نومــة ليس فيها حلــم

فرد عليه أبي برسالة شعرية جاء فيها :

ان يكن خانك الزمان فلاعا .... جز باع ولا أنفّ ضغيفُ

ويمين الإله لو ان جاوا .... ء طحونا تضيءُ فيها السيــوفُ

ذات رزء مجتابة غمزة المو ..... ت صحيح سربالها مكفوفُ

كنت في حميها لجئتك اسعى فاعلمن لو سمعت اذ تستضيفُ

او بمال سألت دونك لم يم .... نع تلاد لحاجة او طريفُ

٢ــ بعد ان امر النعمان بن المنذر [١٤٤] ، الربيع بن زياد العبسي بالانصراف من مجلسه والتحاق الربيع باهله كتب الى النعمان بن المنذر رسالة شعرية جاء فيها [١٤٥] :

لئن رحلت جمالي ان لي سعة ما مثلها سعة عرضا وطــولا

بحيث لو وزنت لخم باجمعها لم يعدلو ريشة من ريش شمويلا

ترعى الروائم احرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحا وغســويلا

فابرق بارضك يانعمان متكئــا مع النطاسي يوما وان نوفيــلا

فاجابه النعمان برسالة شعرية قائلا:

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأ باطيلا

فقد ذكرت به والركاب حاملــه وردا يعلل اهل الشام والنيــلا

---

(١٤٤) الاغاني : ١٦/ ٢٢ ــ ٢٣ .

(١٤٥) امالي المرتضى : ١٩٢ .

فما انتفاؤك منه بعدمــا خرعت هوج المطي به ابراق شمليــلا

قد قيل ذلك ان حقا وان كذبــا فما اعتذارك من قول اذا قيــلا

فالحق بحيث رأين الارض واسعة وانشر بها الطرق ان عرضا وان طولا

٣ــ وكتب الربيع بن زياد العبسي رسالة شعرية الى حذيفة بن بدر واخيه حمل [١٤٦] ، جاء فيها :

الا ابلغ بني بدر رســـــولا على ما كان من شنا ووتــر

باني لم ازل لكم صديقــا ادافع عن فزارة كل امـــر

اسالم سلمكم وارد عنكـــم فوارس اهل نجران وحجر

وكان أبي أبن عمكم زيـــاد صفي أبيكم بدر بن عمـــرو

فالجأتم اخا الغدرات قيســـا وكان البدء من حمل بن بــدر

فاما ترجعوا ارجع اليكـــم وان تابوا فقد اوسعت عذري

٤ــ وحينما علم عمرو بن كلثوم التغلبي [١٤٧] ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يتوعده دعا كاتب قومه وامره ان يكتب الى النعمان بن المنذر البيتين الاتيين [١٤٨] :

الاابلغ النعمان عني رسالـــة فمدحك حولي وذمك قــارح

متى تلقني في تغلب ابنة وائل واشياعها ترقى اليك المسالح

٥ــ وعندما غضب الحارث بن مارية الغساني على عبد العزى بــن امــرئ القيس الكلبي وتهدده ارسل عبد العزى ولديــه شــراحيل والحــارث ، وكتب معهما رسالة شعرية الى قومه جاء فيها[١٤٩] :

---

[١٤٦] الكامل في التاريخ : ١ / ٤٥١ .

[١٤٧] الاغاني (الدار) : ١١ / ٥٨ .

[١٤٨] المستدرك على شعره في المستدرك على صناع الدواوين : ٧١ .

[١٤٩] خزانة الادب : ١ / ٢٩٤ .

جزائي ـ جزاه الله شر جزائه ـ جزاء السنمار وما كان ذا ذنب

سوى رص البنيان عشرين حجة يعل عليه بالقراميد والسكب

٦ـ ومن طرائف الرسائل الشعرية المكتوبة تلك التي يبعثها الاسرى الى ذويهم وقومهم يطلبون منهم الفداء او يحذرونهم من غارة او غير ذلك فقد كتب قبيسة بن كلثوم السكوني رسالة الى قومه على مؤخر رحل ابي الطمحان القيني جاء فيها[١٥٠] :

بلغا كندة الملوك جميعا حيث سارت بالاكرمين الجمال

ان ردوا العين بالخميس عجالا واصدروا عنه الروايا الثقال

هزئت جارتيّ وقالت عجيبا اذ رأتني في جيدي الاغلال

ان تريني عاري العظام اسيرا قد يراني تضعضع واختلال

فلقد اقدم الكتيبة بالسيـ... .. ف على السلاح والسربال

٧ـ ومن الرسائل الطريفة رسالة اسير تيمي ارسلها الى قومه يحذرهم من الخطر المحدق بهم من قبل آسريه وكتب لهم[١٥١] :

حلوا عن الناقة الحمراء ارحلكم

والبازل الاصهب المعقول فاصطنعوا

ان الذئاب قد اخضرت براثنها

والناس كلهم بكر اذا شبعوا

وهناك رسائل شعرية مكتوبة كثيرة منها المتبادلة بين كعب بن زهير واخيه بجير بعد ان ضاقت الارض عليه بما رحبت بعدما اهدر رسول الله (ﷺ)

---

[١٥٠] الاغاني : ١١/ ٢١٣ ، ومثل هذه الرسالة ما كتبه المرقش الاكبر الى اخوته ينظر اخباره وشعره : ٨٧٣ ــ ٨٧٤ .

[١٥١] امالي القالي : ١ / ٧ .

دمه[١٥٢] ، ورسالتي لقيط بن يعمر الايادي الى قومه[١٥٣] ، ورسالة سلامة بن جندل الى صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد بعد ان اطلق سرح اخيه احمر بن الاسر[١٥٤] ، ورسالة الحارث بن كلدة الى بني عمه يعاتبهم لانه كتب لهم قبلها ولم يجيبوه[١٥٥] ، وغير ذلك كثير .

الخاتمة :

بعد تلك الرحلة الطويلة والشاقة بين دواوين الشعر العربي القديم والمجاميع الشعرية والمصادر الادبية والتاريخية واللغوية وغيرها ، وعلى الرغم من تلك المشقة والعناء الا ان الرحلة كانت ممتعة ولطيفة وأواد ان اقول : ان الرواية المكتوبة ومن خلال الكتابة وانتشارها ، كانت حاضرة بقوة الى جانب اختها الرواية الشفوية بدلالة تلك النصوص التي وردت في البحث وان الرواية المكتوبة قد سلمت من ايدي التلاعب وآفة النسيان لذلك كانت بنأى عن النحل والانتحال والسرقات واختلاف الروايات ونسبة الاشعار ، ذلك لانها كانت موثقة وان الرواية المكتوبة نجحت وبتفوق في ايصال شطر كبير من الشعر العربي القديم الى عصر تدوين الدواوين والمجاميع الشعرية والكتب الادبية الاخرى ، ولولاها لطويت صفحة كبيرة من الشعر مع ما طوي منه لاسباب مختلفة لا مجال لذكرها ، وانها وثقت لنا كثيرا من الامور نعل من ابرزها الرسائل الشعرية ، ومعرفة العرب الكتابة منذ زمن مبكر ، وكذلك معرفتهم بمستلزماتها واوداتها وختاما ارجو من الله التوفيق لي ولكم والحمد لله اولا وآخر وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

[١٥٢] شرح ديوان كعب بن زهير : ٤ ــ ٥ .

[١٥٣] ديوانه : ٢٨ ، ٣٠ وينظر مختارات شعراء العرب : ٢

[١٥٤] البيان والتبيين : ٣ / ٣١٨ ، وديوانه : ٢١ ــ ٢٢ .

[١٥٥] الحماسة الشجرية : ٦٨ .

المصادر والمراجـــع

- القران الكريـــم .
- اخبار عبيد بن شرية الجرهمي ، طبعة الهند ، ١٣٤٧ هـــ .
- الاخنس بن شهاب التغلبي وما بقي من شعره ــ بحث للدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي نشره في مجلة كلية التربية ــ الجامعـــة المستنصـــرية ، العدد الاول لسنة ٢٠٠٣م .
- ادب الكاتب ــ لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٦ هـــ) تصحيح محمد بهجـــة الاثري ، ١٣٤١هـــ .
- أساس البلاغة ــ لجار الله ابو القاسم محمـــود بـــن عمـــر الزمخشـــري (ت٥٣٨هـــ) تحقيق الأستاذ عبـــد الـــرحيم محمـــود ، دار المعرفـــة ، ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م ، بيروت .
- الاشتقاق ــ لابن دريد (ت٣٢١هـــ) تحقيق عبد السلام محمـــد هـــارون (د.ت) .
- الاصمعيات ــ للاصمعي (ت٢١٦هـــ) ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، ط٤ ، دار المعارف بمصر ، (د.ت) .
- الأغاني ــ لأبي الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـــ) طبعة دار الكتب .
- الاقتضاب في شرح ادب الكاتب ــ البطليوسي ابو محمد عبـــد الله بـــن محمد بن السيد (ت٥٢١هـــ) المطبعة الادبية ، ١٩٠١م ، بيروت .
- الآمالي ــ ابو علي القالي (ت٣٥٦هـــ) ، ط٢ ، دار الجيل ، ١٤٠٧هـــ ــ ١٩٨٧م ، بيروت .
- الآمالي ــ الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـــ) ، تحقيق عبد الســـلام محمـــد هارون ، ١٣٧٣هـــ ١٩٥٤م .

ـ أمية بن أبي الصلت : حياته وشعره ـ دراسة وتحقيق د. بهجة عبد الغفور الحديثي ، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٢ ، ١٩٩١م ، بغداد .

ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ، (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م .

ـ تاريخ الطبري ـ ابو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، مصر (د.ت) .

ـ تقييد العلم ـ للمؤرخ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ للثعالبي (ت٤٢٩هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م .

ـ الحماسة الشجرية ـ لهبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت٥٤٢هـ) تحقيق عبد المعين الملوحي واسماء الحمصي ، ١٩٧٠م ، دمشق .

ـ الحيوان ـ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، مصر .

ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ـ لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

ـ الخصائص ـ لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ ، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

ـ ديوان ابن مقبل ـ تحقيق عزة حسن ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م ، دمشق .

ـ ديوان امرئ القيس ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٨٤م ، مصر .

ـ ديوان ابي طالب بن عبد المطاب ـ صنعه علي بن حمزة البصري التميمي(ت٣٧٥هـ) ، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين ، د.ت ، د.ط

ـ ديوان حاتم الطائي ـ صنعه ابي صالح يحيى بن مرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي ، دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، (د.ت) .

ـ ديوان الحارث بن حلزة ـ اعاد تحقيقه هاشم الطعان ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٩م ، بغداد .

ـ ديوان سلامة بن جندل ـ تحقيق الأب لويس شيخو ، ١٩١٠م ، بيروت .

ـ ديوان عبيد بن الأبرص ـ طبعة دار صادر ، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

ـ ديوان عدي بن زيد العبادي ـ حققه وجمعة محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، ١٩٦٥م ، بغداد .

ـ ديوان عمرو بم قميئة ـ تحقيق خليل ابراهيم العطية ، دار الحرية ١٩٧٢م ـ ١٣٩٢هـ ، بغداد .

ـ ديوان عمرو بن احمر ـ تحقيق حسين عطوان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، (د.ت) .

ـ ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق د. ناصر الدين الاسد ، دار صادر ط٢ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ، بيروت .

ـ ديوان لبيد بن ربيعة ـ طبعة دار صادر ، ، ١٩٦٦م ـ ١٣٨٦هـ بيروت .

ـ ديوان لقيط بن يعمر الايادي ـ تحقيق خليل ابراهيم العطية ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، مطبعة الجمهورية ، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م ، بغداد .

ـ ديوان الهذليين ـ طبعة دار الكتب المصرية (د.ت) .

ـ سؤلات نافع بن الازرق الى عبد الله بن عباس ـ د. ابراهيم السامرائي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨م .
ـ شرح اختيارات المفضل للتبريزي (ت٥٠٢هـ) تحقيق فخر الدين قباوة ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م ، دمشق .
ـ شرح الاشعار الستة الجاهلية ـ تحقيق ناصيف عواد ، دار الحرية للطباعة ، الجزء الاول ، ١٩٧٩م ، بغداد .
ـ شرح الاشعار الستة الجاهلية ـ تحقيق ناصيف سليمان عواد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الجزء الثاني ، القسمين الاول والثالث ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، بغداد .
ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ـ ضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البربوقي ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
ـ شرح ديوان كعب بن زهير ـ صنعه الامام ابي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م ، القاهرة .
ـ شرح شواهد المغني ـ السيوطي (ت٩١١هـ) ، تعليق محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي ، لجنة احياء التراث العربي (د.ت) .
ـ شعر زهير بن أبي سلمى ـ صنعه الأعلم الشنتمري ، تحقيق فخر الدين قاوة ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ،ط٣، بيروت.
ـ عشرة شعراء مقلون ـ صنعة د. حاتم صالح الضامن ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ، بغداد .

ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، ١٩٧٢ الاردن .

ـ عيون الاخبار ـ كتاب السلطان ـ ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، دار الفكر ، مكتبة الحياة ، مطابع دار الكشاف ١٩٥٥م ، بيروت .

ـ الفائق في غريب الحديث ـ للزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٤٥م ، القاهرة .

ـ القاموس المحيط ـ الفيزوز ابادي ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) مطبعة السعادة ، مصر (د.ت) .

ـ قصائد جاهلية نادرة ـ تحقيق د. يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ط١ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، بيروت .

ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الاثير (ت٦٣٠هـ) ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م بيروت .

ـ كتاب الطبقات الكبير ـ لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ) طبعة بريل ، ١٣٢٢هـ ، ليدن .

ـ لسان العرب ـ لابن منظور (ت٧١١هـ) دار لسان العرب ، بيروت (د.ت) .

ـ مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ) ، دار الرسالة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، الكويت .

ـ مختارات شعراء العرب ـ لابن الشجري هبة الله بن علي ابو السعادات العلوي (ت٥٤٢هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، (د.ت) .

ـ المحبر ـ لأبي جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) صححه واعتنى به د. ايلزه ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د.ت) .
ـ المرقش الاكبر : اخباره وشعره ـ صنعه د. نوري حمودي القيسي ضمن مجلة العرب العددان (٦،٠١) لسنة ١٩٧٠م ، الرياض .
ـ المستدرك على صناع الدواوين ـ صنعه د. عبد الطيف حمودي الطائي ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ، بغداد .
ـ المصاحف ـ لعبد الله بن سليمان بن الاشعث (ت٣١٦هـ) ، ١٩٣٦م ، مصر .
ـ المفضليات ـ المفضل الضبي (ت١٦٨هـ) تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف (د.ت) .
ـ المقتضب من جمهرة النسب ـ لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) تحقيق د. ناجي حسن ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٧م ، بيروت .
ـ نقائض جرير والفرزدق ـ لأبي عبيد الله معمر بن المثنى التيمي (ت٣٠٩هـ) ، مطابع بريل ، ١٩٠٥م ، ليدن .
_ Krenkov – The Use of Writing for the Preservation of Ancient Arabic poetry .

(١) ابن رشيق ، ابو علي الحسن (ت٤٥٦هـ) ، العمدة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢م) ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

(٢) البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٠هـ) ،الاثار الباقية عن القرون الخالية ، (لايبزك : ١٩٣٢م) ، ص٢٣٨.

(٣) سورة (النحل) ، اية ١٦ .

(٤) البيروني ، الاثار الباقية ، ص٣٤١ .

(٥) ابن العبري ، غريغوريوس ابو الفرج (ت٥٩٦هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، اعتناء انطوان صالحاني ، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠م) ، ص١٩٥.

(٦) البيروني ، الاثار الباقية ، ٣٣٨.

(٧) سورة (فصلت) ، الاية ٣٧.

(٨) الحوت ، محمود سليم ، فى طريق الميثولوجيا عند العرب ، ط٣، (بيروت : سلسلة العلوم الاجتماعية ، ١٩٨١م) ، ص٨٧.

(٩) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ط٥،(القاهرة : ١٩٦٧م) ، ج٤، ص٤٧.

(١٠) المجريطي ، ابو القاسم مسلمة (ت٣٤٣هـ) ، غاية الحكيم واحق النتجتين، تحقيق : هـ . ريتر ، (المانيا : لايبزك ، ١٩٣٣م) ، ص١٠٦ــ ١٠٧.

(١١) في اللوحة الخامسة من اسطورة الخلق البابلية : ان النجوم هي صورة الالهية ورموزها (جان بوتيرو ، الديانة عند البابلين ، ترجمة : وليد الجادر ، (بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧٠م) ، ص٨٨.

(١٢) ابن صاعد ، ابو القاسم صاعد بن احمد الاندلسي (ت٤٦٢هـ) ، طبقات الامم ، تحقيق : محمد بحر العلوم ، (النجف الاشرف : المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٧م) ، ص٥٥.

(١٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤، ص٤٧.

(١٤) نقلا عن : دنتلف نلسن ، الديانة العربية القديمة ، من كتاب (التاريخ العربي القديم) (ص١٧٢ــ ٢٢٤) ، ترجمة : فؤاد حسنين علي (القاهرة: مكتبة النهضة ، د.ت) ، ص١٩٨ .

(١٥) يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، ط٢، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م) .

(١٦) نقلا عن : الفيومي ، محمد ابراهيم ، في الفكر الديني الجاهلي ، ط٢ ، (الكويت : دار القلم ، ١٩٨٠م) ، ص١٢٨.

(١٧) الاكوع ، محمد بن علي ، اليمن الخضراء مهد الحضارة . (صنعاء: مطبعة السعادة ، ١٩٧١م) ، ص٣٦٥.

(١٨) دنتلف نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ٢٢٩.

(١٩) باقفيه ، محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣م) ، ص٢١٣.

(٢٠) philp,H.st., j,B,Sheabas Daughters, London (١٩٣٩) , p.١٠٠

(٢١) موسكاتي ، سبيتو ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة : يعقوب بكر (القاهرة) : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، د.ت) ، ص ١٩٤ .

(٢٢) ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٥٠ ــ ٣٦٠هــ) ، الاكليل تحقيق : امين نبيه فارس ، (بيروت : دار العودة ، د.ت) ج٨ ، ص٩٥

(٢٣) باقية ، تاريخ اليمن القديم ، ص ٢١ .

(٢٤) كراتشكوفسكايا ، ن ، أ ، الاهمية التاريخية لآثار فن المعمار اليمني القديم ، ترجمة : قائد محمد طربوش ، مجلة (الاكليل) ، ع٣ ــ ٤ (ص ٣٦ ــ ٦٠) ، (صنعاء : وزارة الاعلام ،١٩٨٨م) ص ٣٧ .

(٢٥) ابو العيون بركات ، الفن اليمني القديم ، مجلة (الاكليـــل) ،ع١، س٦
(ص ٧٧ ــ ١٠١) ، (صنعاء : وزارة الاعلام ، ١٩٨٨م) ، ص ٨٦ .
(٢٦) م ، ن .
(٢٧) سورة (الرحمن) ، الاية ٥ ــ ٦ .
(٢٨) منذر البكر ، دراسة في الميثولوجيا العربية ، (المجلة العربية للعلـــوم الانسانية) ، مج ٨ ، ع٢٠ (ص ١٠٢ ــ ١٣٦) ، (الكويت : ١٩٨٨م) ص ١٠٩ .
(٢٩) الثور ، عبد الله احمد ، هذه هي اليمن ، (صنعاء : مطبعـــة المـــدني ١٩٦٩م) ، ص ٢٣٣ .
(٣٠) فؤاد سفر ، وعلي محمـــد مصـــطفى ، الحضـــر مدينـــة الشـــمس ، (بغداد : دائرة الآثار والتراث ، ١٩٧٤م) ، ص ٤١ــ ٤٢ .
(٣١) يحيى ، العرب ، ص ٣٥٩ .
(٣٢) الف ، ميخائيل موسى ، آلهة بعلبك الثلاثة والادلـــة عليهـــا ، مجلـــة (المشرق) ، مج ١٠ ، ص ١٥٨ ــ ١٦١ ، (بيـــروت : ١٩٧٠م) ص ٥٨ .
(٣٣) دتتلف ، نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ١٩٤ .
(٣٤) Grohmann , Akulturgeschte des Alte orients (١١١،٤) , Arabian , (Muenchen : ١٩٦٣) , p . ٢٤٣ .
(٣٥) Nielsen, D,Die . aethipoisehen Goetter (ZDMG) B.d.٦٦ (Leiozig : ١٩١٢) , p.٥٩١.
(٣٦) دتتلف ، نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ١٩٣ .
(٣٧) Grohmann , Araben , p. ٨٨ .
(٣٨) دتتلف ، نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

(٣٩) م، ن ، ص ٢٠٤ .

(٤٠) منذر البكر ، دراسة في الميثولوجيا ، ص ١٠٩ .

Nielsen , D, Die . aethipoisehen Goetter , p.٥٩٣ – ٥٩٠ . (٤١)

(٤٢) جواد علي ، مقومات الدولة العربية قبل الاسلام ، مجلة (المجمع العلمي العراقي) ، مج ٣٨ ، ج٢ ـ ٣ (ص٢٩ ـ ٨٠) ، (بغداد المجمع العلمي ١٩٨٧م) ، ص١٥ .

(٤٣) خليل احمد خليل ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي القديم ، (بيروت : ١٩٧٣م) ، ص٢٧١ .

(٤٤) مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، (الرياض : ١٩٧٧م) ، ص٢٧١ .

(٤٥) دتتلف ، نلسن ، الديانة العربية ، ص١٢٢ .

(٤٦) مقومات الدولة العربية ، ص٤٠.

(٤٧) العرب في سوريا قبل الاسلام ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، (دمشق : الدار القومية للطباعة النشر ، د،ت) ، ص٧٠.

(٤٨) نقلا عن : عدنان ترسيسي ، اليمن وحضارة العرب ، (بيروت : مكتبة الحياة ، د.ت) ، ص٢٢ .

Beeston and Other Sabaic Dictionary, publication of (٤٩) University of Sanaa YAR (Louvain : ١٩٨٢), P.٧٨.

Ibid, P.١٠٦ (٥٠)

(٥١) جواد علي ، مقومات الدولة العربية ،ص٤١ .

(٥٢) ثريا منقوش ، تاريخ الإلهة اليمنية والتوحيد الإلهي ، مجلة (المؤرخ العربي) ، ع٩ (ص١٦ـ٦١) ، (بغداد : اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٨٧م) ، ص٢٩.

(٥٣) جواد علي ، مقومات الدولة العربية ، ص٧١.

(٥٤) م . ن ، ص٥٣ .

(٥٥) الويس ، حسن بن علي ، اليمن الكبرى ، (القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٦٢م) ، ص٢٠٦ـ٢٠٧ .

(٥٦) ويذهب المستشرق الألماني (نلسن) الى أن لفظة (ملك) اسم لأحد الإلهة الثمودية وأن لفظة (ملكن) في النقش الموسوم بـــ (GL ١٦٠٠) لم يقصد بها الملك بالمعنى السياسي ، بل أريد بها إله اسمه (ملك) (نقــلا عــن : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبــل الاســلام ، (بغــداد : دار النهضة وبيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) ، ج٦ ، ص٣١٢ .

(٥٧) Grohmann, Araben, P.٢٤٧.

(٥٨) جواد علي ، مقومات الدولة العربية ، ص٣٥ .

(٥٩) ثريا منقوش ، تاريخ الإلهة ، ص٢٨.

(٦٠) عنان ، زيد بن علي ، تاريخ حضارة اليمن ، (صنعاء : طبعة الروضة ١٣٩٦هـــ) ، ص٢٧٨ .

(٦١) ثريا منقوش ، تاريخ الإلهة ، ص٢٨ .

(٦٢) موسكاتي ، الحضارة السامية ، ص١٩٦ .

(٦٣) اغناطيوس غويدي ، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربيـــة ، ترجمة : إبراهيم السامرائي ، (بيروت : دار الحدثة ، ١٩٨٦م)، ص٨٧.

(٦٤) Nielsen, D, Die. Aethipoischen Goetter, P. ٥١٩.

(٦٥) منذر البكر ، دراسة في الميثولوجيا العربية ، ص ١٠٨ .

(٦٦) ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب ، ط٢ ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٥م) ، مج١ ، ص١٠٢ .

(٦٧) Hitti Philp, History of Arads, London (١٩٦٤), P.٩٧.

(٦٨) يحيى ، العرب ، ص٢٨٣_٢٨٢ .

(٦٩) Phiiby, H, stjB,The Background of Islam, Alexandria (١٩٤٨), P. ٣٧.

(٧٠) أنيس فريحة ، القيمة التاريخية لدراسة أسماء الأمكنة والأعلام ، مجلة (أبحاث) ، ص٤، ج١(ص٣٥_٤٠) ، (بيروت : ١٩٥١م) ، ص٤٢.

(٧١) العقاد ، عباس محمـــود ، الله ، ط٣٠، (القـــاهرة : دار المعـــارف ، ١٩٦٠م) ، ص٣٦ .

(٧٢) ديورانت ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ص١٠٢.

(٧٣) النبياتي ، عادل جاسم ، تراث الحب في الأدب العربي قبل الإســلام ، مجلة (آداب المستنصرية) ، ع٧ (ص٨٥ _ ١٦٣) ، (بغداد : الجامعــة المستنصرية ، ١٩٨٣م) ، ص ٨٨ .

(٧٤) دتتلف نلسن ، الديانة العربية القديمة ، ص٢٠٧ .

(٧٥) للتفصيل عن المعتقدات الدينية في اليمن القديم ، انظر : الموســوي ، جواد مطر ، الديانة اليمنية ومعابدها قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (البصرة : جامعة البصرة _ كلية التربية ، ١٩٨٩م) .

دار المسناة

هل كانت قصرا او مدرسة

((ورسالة إعتراض للعلامة مصطفى جواد))

الاستاذ : سالم الآلوسي

الملخص :

يتناول هذا البحث مشكلة تاريخية تتعلق بالبناية المجاورة لوزارة الدفاع في الوقت الحاضر المعروفة بالقصر العباسي ، التي اطلق عليها عدة اسماء منها : قصر المأمون ، المدرسة الشرابية قصر ام حبيب واخيرا دار المسناة . ولتلافي هذه التعددية استقر الرأي على تسميتها بالقصر العباسي .

وفي خريف عام ١٩٦٨ عقدت ندوة في تلفزيون الجمهورية العراقية تحدث فيها الدكتور ناجي معروف مؤكدا كون هذه البناية هي المدرسة الشرابية التي انشأها اقبال الشرابي المتوفى سنة ٦٥٣هـ وليست دار المسناة التي ذكرها العلامة الدكتور مصطفى جواد . وعلى اثر ذلك اعترض الدكتور جواد على ذلك برسالة الى معدّ البرنامج ومقدمه مؤكدا كونها دار المسناة .

وفي البحث رأي بعض الباحثين في الموضوع .

المقدمـــة :

تقع بقايا هذا البناء أو القصر ، أو المدرسة داخل قلعة بغداد في العهد العثماني ـــ وزارة الدفاع اليوم ـــ وقد جلبت هذه البقايـــا ، ومـــن ابرزهـــا الايوان ، إنتباه عدد كبير مـــن الرحالـــة الآثـــاريين والبـــاحثين ، أجانـــب وعراقيين ، على مدى قرن من الزمن ، وذهبوا في تاريخها ونسبتها مذاهب شتى ، فأطلقوا على هذا البناء القديم عدة اسماء منها : قصر المـــأمون ، دار المسناة ، قصر أم حبيب ، المدرسة الشرابية ... الخ ، ولتلافي هذه التعدديـــة إستقر الرأي على تسميته بـــ (القصر العباسي) واخيراً بـــ (دار المسناة) .

قوام القصر (ايوان) كما هو المألوف في اكثـــر الأبنيـــة الاســـلامية العراقية ، ويمثل هذا الايوان أقصى ما بلغه المعمار العراقي من الإفتتان في الزخارف والنقوش البنائية الداخلية ، وقد قلدت في تزيينه النقوش الفسيفسائية بمواد من الآجر والجص ، مما يُعدُّ ابداعا في الفن العماري ، ولعلَّ فنَّه يعـــدُّ إماما ـــ ستاندارد Standard ـــ في الريازة الاسلامية عامة .

وتلي الايوان من الجانبين حجرات ، على ان الحجـــرتين المكتنفتـــين للايوان تجعلانه من طراز ((الحيري بكمّين)) ذلك الطـــراز الـــذي اســـتجده الخليفة العباسي المتوكل على الله وبنى عليه اكثر قصوره بســـامراء . ووراء الحجرات من الجنوب أبهاء ـــ جمع بهو ـــ وفوق الحجرات غـــرف . وقـــد جرى تغيير طفيف فـــي هـــذا القصـــر فـــي ايـــام الحكـــم المغـــولي فـــي العراق ، وتشويه كبير في أيام الحكم العثماني . وقد بذلت مديريـــة الآثـــار العامة ، منذ مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين الماضي مجهـــودا عظيمـــا مستديما في اعادته الى حالته الأولى حتى استمسك وتجلّت روعته العماريـــة واتضحت معالمه الأصلية فاتخذته متحفاً لكثير من الآثار العربية الاســـلامية

والمصورات التاريخية والخططية لقسم العراقيات[1] . وبعد تشييد بناية المتحف العراقي الجديد في منطقة الصالحية في عام ١٩٦٣ ، نقلت آثار متحف القصر العباسي الى المتحف العراقي الجديد في الكرخ وبقي خاليا تقام فيه المناسبات والفعاليات التراثية .

اولا ــ القصر العباسي في مباحث الاجانب والعراقيين

مضت قرون على هذه البناية القديمة ، ولم يلتفت اليها احد من المؤرخين والباحثين حتى مطلع القرن العشرين المنصرم ، حيث تقاطر على زيارتها ووصفها ودراستها عدد من الآثاريين والباحثين الأجانب من مختلف الجنسيات فكتبوا عنها ووصفوها في كتبهم ومطبوعاتهم . وفي اوائل الثلاثينيات حذا حذوهم عدد من الباحثين والآثاريين والمؤرخين العراقيين في تتبع هذا الاثر العظيم وتاريخه ونسبته فأختلفت آراؤهم فيه وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . وفي السطور الآتية نستعرض بايجاز مباحث كل من المؤرخين الأجانب والباحثين والمؤرخين العراقيين .

أ ــ مباحث المؤرخين الاجانب

١ــ الجنرال دي بيليه : De Beylie (L.)

يعد الفرنسي الجنرال ل.دي بيليه اول من زار القصر العباسي من الاوربيين فقد زار بقايا القصر قبل عام ١٩٠٧ وسجل مذكراته في كتابه المطبوع بباريس بعنوان : Gen. L. Beylie : Prome et Samar. Paris – 1907 وفي هذا الكتاب صورة الجنرال بيليه يقف امام الأيوان .

---

[1] دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق . اصدرته دائرة الآثار العامة . مطبعة الرابطة ــ بغداد ــ ١٩٥٣ ، ص٩ .

٢ــ هنري فيوليه Viollet (Henri)

وهو مهندس فرنسي كان مشرفا على أعمال بلدية بغداد في العهد العثماني وله دراية وخبرة في الآثار الاسلامية ، فقد نقب في أطلال سامراء ولا سيما في بيت الخليفة عامي ١٩٠٧ــ١٩٠٨ ونشر نتائج ذلك في كتاب خاص صدر عام ١٩٠٩[٢] . وذكر في مقال في مجلة الآثار التي تصدر بباريس معلومات عن القصر العباسي بعنوان (بقايا الايوان الذي بالقلعة)

٣ــ لويس ماسنيون ــ Massignon (Louis)

عرف المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون بدراساته وابحاثه عن الصوفي منصور الحلاج واهتمامه بالآثار العربية الاسلامية في العراق ، وكان قدم للعراق في اواخر العهد العثماني متجولا ودارسا آثاره ومعالمه العمارية منذ بداية عام ١٩٠٧ وقد سجل مذكراته ومعلوماته في كتابه (بعثة الى ارض الرافدين) بجزئيه :[٣] وقد تناول بالبحث القصر الذي بقلعة بغداد وغيره من الآثار الشاخصة ، ونشره المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

---

(٢) انظر : Villet (Henri).
Description du palais de al _ Moutasim. fils d : Haroun al- raschid, a samara, et de quelques monuments arabes peu connus de la Mesopotamie. Extrait des memoires presentes par divers savants al : Academie des in scriptions et Belle – Lettres.
Tome. XII deuxieme partie-Paris-1909.

(٣) ينظر : Massignon (Louis):
Mission en Mesopotamie (1907-1908)
T-I : Releve's archeologique-Le Caire -1910 .
T-II : Topographique, Historique de Bagdad. Le Caire-1912

٤ــ أرنست هرتسفيلد ــ Dr. Herzfeld (Ernest)

من اشهر علماء الاستشراق الألمان ، وقد قدم الى العراق عضوا في الهيئات الآثارية الالمانية ، وفي خريف عام ١٩٠٧ جاء مع زميله عالم الآثار الالماني فريد ريك زاره ــ Sarre (Friedrich) قاما بجولات وتحريات واسعة شملت انحاء مختلفة من العراق ، وكانت حصيلة ذلك وضع كتابهما الشهير (رحلة آثارية على ضفاف الفرات ودجلة [٤] طبع في برلين باربعة مجلدات) .

مباحث دائرة الآثار والمؤرخين العراقيين

بعد تأسيس المتحف العراقي ودائرة الآثار القديمة في النصف الاول من عشرينيات القرن العشرين الماضي . زاد الاهتمام بالآثار العراقية عامة والعربية الاسلامية خاصة ، فنهض لهذه المهمة العلمية فريقان :

اولا ــ دائرة الآثار القديمة .

ثانيا ــ عدد من الباحثين والمؤرخين العراقيين .

اولا ــ دائرة الآثار القديمة :

وقد نشطت في اعمالها بعد صدور قانون الآثار القديمة عام ١٩٢٤ ، ويمكن ايجاز اهم تلك الاعمال بالآتي :

١ــ استخلاص بناية القصر العباسي من وزارة الدفاع العراقية ، لأن البناية كانت تابعة لقلعة بغداد منذ العهد العثماني وجزءا منها . باعتبار دائرة الآثار القديمة هي الجهة المسؤولة عن حماية الآثار المنقولة وغير

---

[٤] يراجع : Sarre (Friedrich) & Herzfeld (Ernst):
Archaologishe Reise im Euphrat und
Tigis . (4 vols), vols, I , III , IV, Berlin – 1911 vol. , II, Berlin -1920.
- Herzfeld (Ernst) :
Zur Archaologie von Bagdad. Z.M.D.G. – LXXX (1926), P. 225 .

المنقولة استنادا الى الفقرة (ب) من المادة الثانية ، والمادة الثالثة من قانون الآثار المشار اليه آنفا .

٢ـ شرعت دائرة الآثار منذ عام ١٩٣٥ باعمال الصيانة والترميم في القصر بازالة الانقاض والاتربة وتقوية الاسس ، وقد استمرت اعمال الصيانة في فترات حتى سبعينيات القرن العشرين المنصرم حتى اعادت هيكل القصر الى سابق عهده واجمل .

٣ـ نشرت عددا من الكتب والكراسات للتعريف بهذا الاثر المهم ، باللغتين العربية والانكليزية نذكر منها :

١ ـ بقايا القصر العباسي في قلعة بغداد ـ بقلم : ساطع الحصري . بغداد ـ ١٩٣٥ .

٢ـ وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية بعنوان :

Remains of the Abbasid palace at Baghdad citadel. Baghdad-1935.

٣ـ دليل معرض القصر العباسي ـ بغداد ١٩٣٥ بقلم : ساطع الحصري .

٤ـ وترجم الى الانكليزية بعنوان :

A Guide to the Exhibition of the Abbasid Palace. Baghdad-1935.

٥ـ الاصول الفنية لزخارف القصر العباسي ـ بقلم : سليمة عبد الرسول بغداد ـ ١٩٨٠ (صدر بمناسبة احتفالات القرن الخامس عشر الهجري).

ثانيا ـ مباحث المؤرخين العراقيين

كانت لكتابات الآثاريين والمؤرخين الاوربيين الاثر البارز في قيام عدد من الباحثين والمؤرخين العراقيين في البحث والدراسة ـ اسلوبا ومنهجا ـ عن القصر العباسي في القلعة فكان لجهودهم نتائج طيبة وموثقة باضافة معلومات تاريخية غفل عنها الاوربيون ، تستحق الشكر والثناء .

ولاهمية ذلك الكتاب من الكتب والمقالات في المجلات والجرائد العراقية ، نستعرض بايجاز تلك الآثار على وفق تسلسلها الزمني ، والكتّاب هم : الاستاذ يعقوب نعوم سركيس والدكتور مصطفى جواد ، والشيخ محمد صالح السهروردي والاستاذ ناجي معروف (رحمهم الله) .

أ ــ يعقوب نعّوم سركيس (ت ــ ١٩٥٩)

كان الاستاذ يعقوب سركيس في مقدمة من نبّه الاذهان وسلط الاضواء على بناية القصر العباسي وقال إنها دار المسناة للخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وسبق له ــ رحمه الله ــ نشر العشرات من المقالات والأبحاث والوثائق عن الآثار والمعالم العمرانية في العراق ، وقد إتسمت مباحثه بالدقة والموضوعية ، وقد اسعفه في ذلك إتقانه ، الى جانب العربية ، اللغتين التركية العثمانية والفرنسية ، وحفلت مكتبته بالنوادر من المصادر والمراجع والوثائق التي كانت له ناصرا في ذلك ، وكتابه (مباحث عراقية) بأجزائه الثلاثة خير شاهد على قدرته وكفاءته . اما كتاباته عن القصر العباسي فهي :

١ــ بقايا الايوان الذي بالقلعة . [مجلة لغة العرب ــ المجلد ــ ٨(١٩٣٠) ص٥٦٣ــ٥٧١ ، واعاد نشره في كتابه ، مباحث ، ج١ ص٢٨٤ــ٢٨٨] .

٢ــ القصر العباسي ــ ومعرض صور المباني العراقية الاسلامية المفتتحة حديثا في بغداد . (مباحث ، ج٢ ، ص١ــ١٤) .

ب ـ العلامة الدكتور مصطفى جواد (ت ـ ١٩٦٩)

يعدُّ العلامة الدكتور مصطفى جواد أبرز من درس هذا الأثر الاسلامي العباسي ، فقد نشر العديد من الدراسات والابحاث والمقالات عنه في المجلات والكتب والجرائد ، نذكر بعضا منها :

١ـ القصر العباسي بالقلعة ـ قلعة بغداد ـ [مجلة لغة العرب المجلد ـ ٨ (١٩٣٠) ص٣٤٣ـ٣٤٦] .

٢ـ المدرسة الشرابية . [لغة العرب ـ ٨ (١٩٣٠) ص٣٧٦ـ٣٨٠]

٣ـ قصر الناصر لدين الله العباسي في القلعة . (جريدة العراق في ١٩٣٠/٦/١٠) .

٤ـ القصر العباسي ـ دار المسناة ـ من أبنية الناصر لدين الله الخليفة العباسي في بغداد . (جريدة العراق في العددين الصادرين يومي ٢١ـ١٩٤٤/٢/٢٢) نفى فيه نسبه القصر الى الخليفة المأمون . واردفه بمقال آخر حول الموضوع (جريدة العراق في ١٩٤٤/٣/١٤) .

٥ـ القصر العباسي في القلعة ببغداد ـ وهو دار المسنّاة العتيقة من اثار الناصر لدين الله العباسي . [مجلة سومر : المجلد ـ ١ ، جـ٢ (١٩٤٥) ص ٦١ ـ ١٠٤] . وهو بحث تفصيلي موسع عن هذا الأثر ، معزز بالصور والخرائط والمخططات .

٦ـ القصر العباسي ـ دار المسناة : (نشر في الدليل التاريخي على مواطن الآثار في العراق .[٥]

---

[٥] اصدرته مديرية الآثار العامة بمناسبة ذكرى تتويج الملك فيصل الثاني في ١٩٥٣/٥/٢.

٧ــ دار المسناة الناصرية ــ دار علم وعلماء . [مجلة كلية الاداب ــ جامعة بغداد ، العدد ــ ٤ (١٩٦١) ص٥ــ٣٢] .

٨ــ الرسالة التي بعث بها الى السيد سالم الآلوسي ردّ فيها على اقوال الاستاذ ناجي معروف في الندوة التلفزيونية يوم ١٩٦٨/٨/١٢ (يراجع نص رسالة الدكتور مصطفى جواد .

ج ــ الشيخ محمد صالح السهروردي (ت١٩٥٧)

نشط الشيخ محمد صالح السهروردي في كتابة عشرات المقالات عن المعالم الآثارية وجوانب من الحضارة العباسية في بغداد ، وكان على غير وفاق مع الدكتور مصطفى في نسبة عدد من الآثار العباسية في بغداد ، منها ما نشره عن بناية القصر العباسي .

١ــ ليس قصر القلعة قصر الناصر لدين الله ، ولا قصر المأمون ، بل قصر أم حبيب العباسية (جريدة العراق في ١٦ ، ١٢، ٢٣ من حزيران ١٩٣٠) .

٢ــ قصر أم حبيب يؤول الى مستودع اسلحة . (جريدة العراق في ١٩٣٠/٦/٢٧،٢٨ و ١ ، ١٩٣٠/٧/٢) .

د ــ الاستاذ ناجي معروف . (ت ــ١٩٧٧)

من الباحثين في الآثار الاسلامية والحضارة العربية الاسلامية ، وسبق له العمل في مديرية الآثار العراقية منذ اواسط الثلاثينيات من القرن الماضي وشارك في التنقيبات في عدد من مواقع الآثار كواسط وسامراء وغيرها ، وكتب عددا من المؤلفات والدراسات التاريخية والآثارية ، منها ما كتبه عن القصر العباسي ورأيه فيه انه المدرسة الشرابية التي شيدها شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشرابي المتوفى سنة ٦٥٣هــ وكان من رجالات الخليفة المستنصر بالله العباسي . وكان يستدل على ذلك بالمقارنة والمقايسة

مع بناية المدرسة المستنصرية ، ويعزز آراءه ويوثقها بالرسوم والخرائط والمخططات الهندسية الموضوعة لكل من المدرسة الشرابية والمدرسة المستنصرية ، وذلك بالنظر للتشابه الكبير في خارطة البناء واشكال النقوش والزخارف .

لقد وضع الاستاذ ناجي معروف عددا كبيرا من الكتب والدراسات والمقالات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، وبقدر تعليق الموضوع بالقصر العباسي فقد كتب الآتي :

١ـ القصر العباسي في بغداد مدرسة وليس قصرا ولادارا . [مجلة التفيض ، العدد ـ٢ (١٩٤٦) ص١١ ـ ١٧ و ٨١ـ ٨٦] .

٢ـ المدرسة الشرابية او القصر العباسي في قلعة بغداد . [مجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد ، العدد ـ ٢ (١٩٦٠) ص٥٦ ٨٦] .

٣ـ المدرسة الشرابية او القصر العباسي في قلعة بغداد . [مطبعة العاني ـ بغداد (١٩٦١) ٩٣ صفحة مع ٨ صور ومخططات] .

ثالثاً ـ اوصاف القصر

جاء وصف القصر على لسان عدد من الباحثين والمؤرخين ، ويمكننا القول ان ما دوّنه الدكتور مصطفى جواد في اوصاف مرافق هذا المعلم العمراني وتاريخه وخطته يعدُّ الأفضل والاوسع والأوثق ، ولسعة الموضوع رأينا ايجازه بإختيار نصين مختصرين كتبهما في مصدرين هما :

(١) الدليل التاريخي على مواطن الآثار في العراق .

(٢) دليل خارطة بغداد المفصل .

وقد جاء في الكتاب الأول (الصفحة ٩) الآتي :

((هذا القصر الفخم في ريازته وخطته ، القائم في قلعة بغداد العتيقة ـ وزارة الدفاع اليوم ـ من ابنية الخليفة الناصر لدين الله العباسي

(٥٧٥ـ٦٢٢هـ) اي (١١٧٩ـ ١٢٢٥م) كانت ارضا تعرف بـ (دار تتر) احد الأمراء من مماليك بني سلجوق ، فهدمها الناصر وبنى مكانها هذا القصر قرب مسناة عتيقة فلذلك سميت (دار المسنّاة) وكان الشروع في تشييد هذا القصر سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠م) . ولما دخل الرحالة ابن جبير بغداد سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) كان القصر كامل البنا . وان ابن جبير رأى الخليفة مصعدا اليه في دجلة .

ان اتخاذ الناصر لدين الله في هذا القصر خزانة كتب جليلة ، كما جاء في اخبار الحكماء للقفطي يدل على انه جعله (دار علم) ، اي من النوع الذي يسميه الفرنج (الأكاديمي) ومن المحتمل انه كان يجالس العلماء فيه ويشاركهم المباحث العلمية والمحاضرات الادبية)) .

اما المصدر الثاني[٦] فقد جاء في الصفحات (١٨٤ـ١٨٦) الوصف الآتي : ((في الجانب الشرقي من بغداد اليوم بقايا قصر ضخم مصان ومرمم يرجح انه من المباني التي شيّدت في العهد العباسي الاخير الذي لا يتقدم على تاريخ بناء المدرسة المستنصرية بكثير من السنين ، هو القصر المسمّى اليوم بأسم (القصر العباسي) ويقع على ضفة دجلة اليسرى شمالي بناية مجلس الأمة الحالي .[٧]

ويتألف هذا القصر ، الذي مدخله من جهة النهر ، من ايوان قديم مزخرف الطاق يتصل بطرفيه بسلسلة من الغرف والقاعات والمجازات . وتتعامد هذه السلسلة من الجهة اليسرى من الإيوان مع سلسلة ثانية تنتهي

---

[٦] دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا . تأليف : الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه . من مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد ـ ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨

[٧] هي البناية التي تشغلها اليوم مؤسسة بيت الحكمة .

بمجاز مزخرف وحجرة مزخرفة نادرة الوجود ، وتمتاز زخارف هذا القصر بكون جميعها من الآجر بخلاف ما نجده في معظم الزخارف العربية الاخرى المصنوعة من الجص او الحجر ، مضافا الى ان جميع مرافق البناء مشـــيدة بالآجر . والطابقان والسقوف معقودة ايضا . واشهر الاقوال وادعاهـــا الـــى التصديق انه ــ دار المسناة ــ التي انشأها الخليفة الناصر لدين الله العباســـي وأقام فيها خزانة كتب جليلة لمفاوضة العلماء فيها ، فهي على التحقيـــق دار علم ، ولذلك كانت بنايتها اقرب الى بنايات المـــدارس . وقـــد اقتـــبس مـــن تصميماتها المعمار الذي شيّد المستنصرية . لقد اتخذ هذا القصر فـــي آخـــر العهد العثماني مذخرا للعتاد الحربي وهو في الزاوية الجنوبيـــة مـــن ثكنـــة المدفعية التي كانت تعرف بالقلعة ، وكان يسميها الاتراك (إيج قلعة) اي القلعة الداخلية ، وذلك لوقوعها داخل سور المدينة ، وصارت اخير تسمى بـــ (الطوبخانه) اي موضع المدافع :

رابعاً ــ رسالة الدكتور مصطفى جواد

عقد في ((التلفزيون)) ندوة تاريخية ضمن برنامج (الندوة الثقافية) عن القصر العباسي تحدث فيها الاستاذ ناجي معروف ، كانت محـــل اعتـــراض الدكتور مصطفى جواد فبعث الى معد البرنامج هذه الرسالة .

الموضوع : القصر العباسي

عزيزي الاستاذ الفاضل البارع السيد سالم الالوسي المحترم

كان من حُسن حظّي ان تنبهتُ لأكبر قسم من ندوتكم الثقافية الخاصة بالقصر العباسي ، وأنا وإن كنت عاجزا عن الحضور في النـــدوة لـــلإدلاء بحجّتي في كون ((هذا القصر)) العتيق القائم في جنوبي القلعة هـــو قصـــر الناصر لدين الله وفي أن اسمه ((دار المسناة)) كما حققه المحقـــق الراحـــل

يعقوب نَعوم سركيس في مجلة لغة العرب (٨: ٢٦١)[*] فقد وكلتُ عن نفسي قلمي لتقرؤوا حجتي وبرهاني او لتوجزوهما بالتحديث . فأنا طالب حق وحقيقة ، ولو ثبت لي ان هذا القصر هو المدرسة الشرابية كما إدّعى اخي الاستاذ ناجي معروف في الندوة المذكورة آنفاً لكان ذلك مما يسرّني ويبهجني لأن من صفات العلماء المخلصين لحقائق العلم المستجيبين للضمير العلمي الرجوع عن الخطأ بالضدّ من المهرّجين الذين يحسبون الانتقاد عليهم هدما لشخصيتهم العلمية مع ان بناء الشخصية العلمية هو أرصن الأبنية وأقواها .

عزيزي ، إني كنت أول من أثبت ان هذا القصر القائم في جنوبي القلعة المقدم ذكره هو قصر الناصر لدين الله وذلك في مقالة نشرتها في مجلة لغة العرب (٨: ٣٤٣) سنة ١٩٣٠ بعنوان ((القصر الذي بالقلعة)) وكان في المقالة ردٌ على المحقق يعقوب السركيسي في تعيين موضع قصور الخليفة ثم وجدت نصا في ((مرآة الزمان)) لسبط ابن الجوزي يذكر بناء الناصر دارا في هذا الموضع من بغداد : فضلا عن نص رحلة ابن جبير الخاص بهذا الخليفة وقصره بأعلى الجانب الشرقي من بغداد ، وهو واضح جدا .

فأنا لم أوافق يعقوب سركيس على تعيين اسم القصر العباسي وكونه ((دار المسناة)) إلاّ بعد أدلّته الواضحة الكثيرة ، وهي أدلّة خططية لا يمكن إدحاضها ولا توهينها ، فالقائل : ان القصر العباسي هو المدرسة الشرابية ينبغي له أن يبدأ بتعيين موضع المدرسة بنصوص تاريخية ، ثم يُثنّي بالامور الحضارية ، وأقدم نص لتعيين موضعها هو ما ذكره مؤلف كتاب (الحوادث الجامعة) الذي نشرته ايام كنت معلما في المدرسة المأمونية ، ذكره في أخبار سنة ٦٢٨ الهجرية ، قال ــ ص٢٤ــ :

---

[*] اعاد الاستاذ يعقوب سركيس نشره في كتابه ((مباحث عراقية)) ج١ ، ص٢٨٤ــ٢٨٨.

((وفي شوال تكامل بناء المدرسة التي انشأها شرف الدين إقبال الشرابي بسوق العجم بالشارع الأعظم ، بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاّحين)) .وذكر ابن الفوطي في التلخيص ان الموضع يعرف بخان زياد ، فهذا نص باللغة العربية لا بغيرها ، فللسائل ان يسأل المستدل على كون القصر العباسي هو المدرسة الشرابية ويقول : ان المدرسة الشرابية كانت بسوق العجم ، فأين سوق العجم ؟ وانها كانت بالشارع الأعظم ، فاين كان موضع الشارع الاعظم من أوله الى آخره ؟

وكانت المدرسة مقابل درب الملاحين ، واذا قلت ((مقابل)) فمعنى ذلك ان بابها مقابل للدرب ، فاذا كان القصر العباسي وبابه مطلٌّ على شاطيء دجلة هو المدرسة الشرابية فاين يكون الدرب ليقابل بابها ؟ لابدَّ اذن ان يكون درب الملاّحين في داخل نهر دجلة ليكون مقابلا للباب ، فهل هو جسر ؟

وان ابن الفوطي يذكر انها في موضع يعرف بخان زياد ، فأين خان زياد ؟ وهل مثل هذا الموضع القريب من سور العاصمة يمكن ان يكون خانا ؟ ولماذا لم يقولوا ان المدرسة كانت على شاطئ دجلة ولا ((بالقرب من الشاطيء)) على فرض ان الرصيف كان عريضا جدا ؟

ان النصوص الخططية تنفي نفيا باتا ان يكون القصر العباسي ((المدرسة الشرابية)) ، ويجوز ان يكون القصر بناية اخرى إلاّ المدرسة الشرابية ، فلا يجوز علميا ان يكونها أبدا .

وبعد ان استدلَّ المستدلّ الفاضل على ان القصر العباسي يشبه المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية ، وانه مدرسة لا دار قال : انه يخالفهما في المدخل الأزور غير المستقيم لان مدخلها يشبه مدخل مدرسة السلطان حسن بالقاهرة ، فقفز الاستدلال الى المدرسة الشرابية المزعومة بواسط ، مع ان علم الآثار اثبت ان

مدخل المدارس مستقيم يؤدي الى الصحن لا أزور كالقصر العباسي ، وما شذّ وبَعُدَ لا يقاس عليه ولا سيما انه نادر جدا جدا فكيف يكون الاستاذ (كرسول)[*] قد ايدّه وهو صاحب الاعتراض على كون البناية مدرسة بسبب إزورار مدخلها كما اعلمني بذلك احد الثقات الاثبات !! وكيف تراجع عن تأييدي ليعقوب سركيس في كون اسم هذا القصر ((دار المسنّاة)) وبراهينه منيرة ، ونصوصه كثيرة ؟ وانما قلت لا تنافي بين ان يكون القصر العباسي يشبه المؤسسات العلمية وان يكون قصرا للناصر لدين الله ، ونقلت من تاريخ اخبار الحكماء انه كان في دار المسناة خزانة كتب عظيمة ، فلا يشترط ان يكون القصر دائما لسكنى الرجال والنساء ، ودار الخلافة العباسية الممتدة على شاطي دجلة من باب الغَرَبة ــ اي باب شارع المستنصر الى الجنوب مسافة طويلة فيها عشرات القصور . ولعلّ القصر العباسي كانت تجري فيه إحتفالات الإدخال في الفتوة ايضا .

ثم ان سعة البناية تابعة لمال الباني ، ومن أين للخلفاء المتأخرين من بني العباس الموارد المالية ليبنوا مثل قصور سامراء حين كانت عاصمة الدولة وتُجلب اليها ملايين الدنانير؟ من اصقاع دولتهم الواسعة الشاسعة الأطراف .

ثم بعد ان أكّد التشابه بين القصر العباسي والمدارس اعترف بالاختلاف بينه وبين المدرسة الشرابية المزعومة المرحومة بواسط ، ثم زاد الاعتراف بان الريازة في شرابية بغداد اعظم واصنع وأبدع وأروع ، واحسن واتقن لأن

---

[*] مؤرخ انكليزي يعد اشهر من ارخ للعمارة الاسلامية ، له مؤلفات ابرزها كتابه الشهير فجر العمارة الاسلامية Creswell (K.A.C.) : Early Islamic Architecture. وجاء الى العراق عدة مرات لدراسة معالمه الآثارية الاسلامية . وسيرته واعماله ومؤلفاته ما تزال مخطوطة حاضرة للنشر (سالم الالوسي) .

الشرابي كان غنيًا جدا فالظاهر انه أفلس او قارب الافلاس حين شيد مدرسته بواسط ، هذا البناء المخالف لبناء القصر العباسي في جميع ما بقي منه من منارة ربما ركزوها او (شجخوها) أخيرا على بعض زعمه ، وبناء ركيك وآجر كبار . ولنقل : لعلّ آجر واسط كان في تلك الحقبة مخالفا لأجر بغداد ، فلماذا كان آجر القصر العباسي أصغر من آجر المدرسة المستنصرية ؟ وهما على دعواه متقاربان في الانشاء والبناء ؟ لاشك في ان التطور يصيب جميع اسباب الحضارة واشياءها .

وهل للمستدل خارطة دار قديمة من دور بغداد العباسية حتى يقول : لا يمكن ان تكون هذه البناية دارا ؟ فدار المسناة صارت رباطا بعد سنة ٦٩٦هـ كما في الحوادث الجامعة ودار الوزير ابن جهير صارت مدرسة وقفتها السيدة بنفشه كما في المنتظم لأبن الجوزي . وهذا المهندس فيوله H.Violet يقول في مجلة الآثار الصادرة سنة ١٩١٣: ((جميع ابنية ذلك العصر ـ القرن الثالث عشر للميلاد ـ بنيت على مبادىء واحدة وبمواد واحدة ... ففي الصورة الأولى قسم من عقد الايوان في قلعة المدفعية وهو ايوان قديم والأثر الوحيد الباقي من قصر بديع لأحد الخلفاء والآن تراه غارقا في أبنية القلعة))[١] .

المخلص

مصطفى جواد

٨ /٩/ ١٩٦٨

---

[١] لغة العرب ـ ٨ : ٥٦٨ .

عزيزي الأستاذ الفاضل البارع السيد سالم الآلوسي المحترم

كان من حسن حظي أن تغيبت لأكبر قسم من ندوتكم الثقافية الخاصة بالآثار العباسية، وأنا وإن كنت عاجزاً عن الحضور في الندوة لمرضي، بحثت في ذكر أن «هذا القصر العباسي القائم في جنوبي القلعة هو قصر الناصر لدين الله وفي أيامه اسمه دار المسناة» كما حققه المحقق الراحل المرحوم يعقوب نعوم سركيس في مجلة لغة العرب «٨ : ٥٦١» فقد حدثتني نفسي فلم أستزد الحجج والبراهين أو لتشترك فيها بالتحديث. فأنا طالب حق وحقيقة، ولو ثبت لي أن هذا القصر هو المدرسة الشرابية كما ادعى أخي الأستاذ ناجي معروف في الندوة المذكورة آنفاً لكان ذلك مما يسرني ويبهجني لأن من صفات العلماء المخلصين لحقائق العلم المستجيبين للضمير العلمي الرجوع عن الخطأ، بالصدق لا بالمراوغة الذين يحسبون الاستقامة عليهم تهديماً لشخصيتهم العلمية مع أن بناء الشخصية العلمية هو أرصن الأبنية وأقواها

وهل للمستدل خارطة لدار قديمة من دور بغداد العباسية حتى يقول: لا يمكن أن تكون هذه البناية داراً؟ ثم إن المسناة صارت رباطاً بعد سنة ٥٨٦ كما في الحوادث ودار الوزير ابن هبيرة صارت مدرسة وفتحت السيدة بنفشة كما في المنتظم لابن الجوزي، وهذا المهندس فيوليه H. Viollet يقول في مجلة الآثار الصادرة سنة ١٩١٢: «جميع أبنية ذلك العصر: القرن الثالث عشر للميلاد بنيت على عيار واحد وبمواد واحدة... فتلك الصورة الأولى قسم من عقد الإيوان في قلعة المدينة ولعل الإيوان قد بقي الأثر الوحيد الباقي من قصر بديع لأحد الخلفاء والآخر ترى عقادته في أبنية القلعة»(١).

وأستطيع أن أكتب في هذا البحث عشرات صفحات ولكني عالم وموقن بأن المستدل لا يستطيع ذلك ويذهب سدى عند رؤية الاستدلال العشوائي. وتقبلوا فائق الاحترام مولاي.

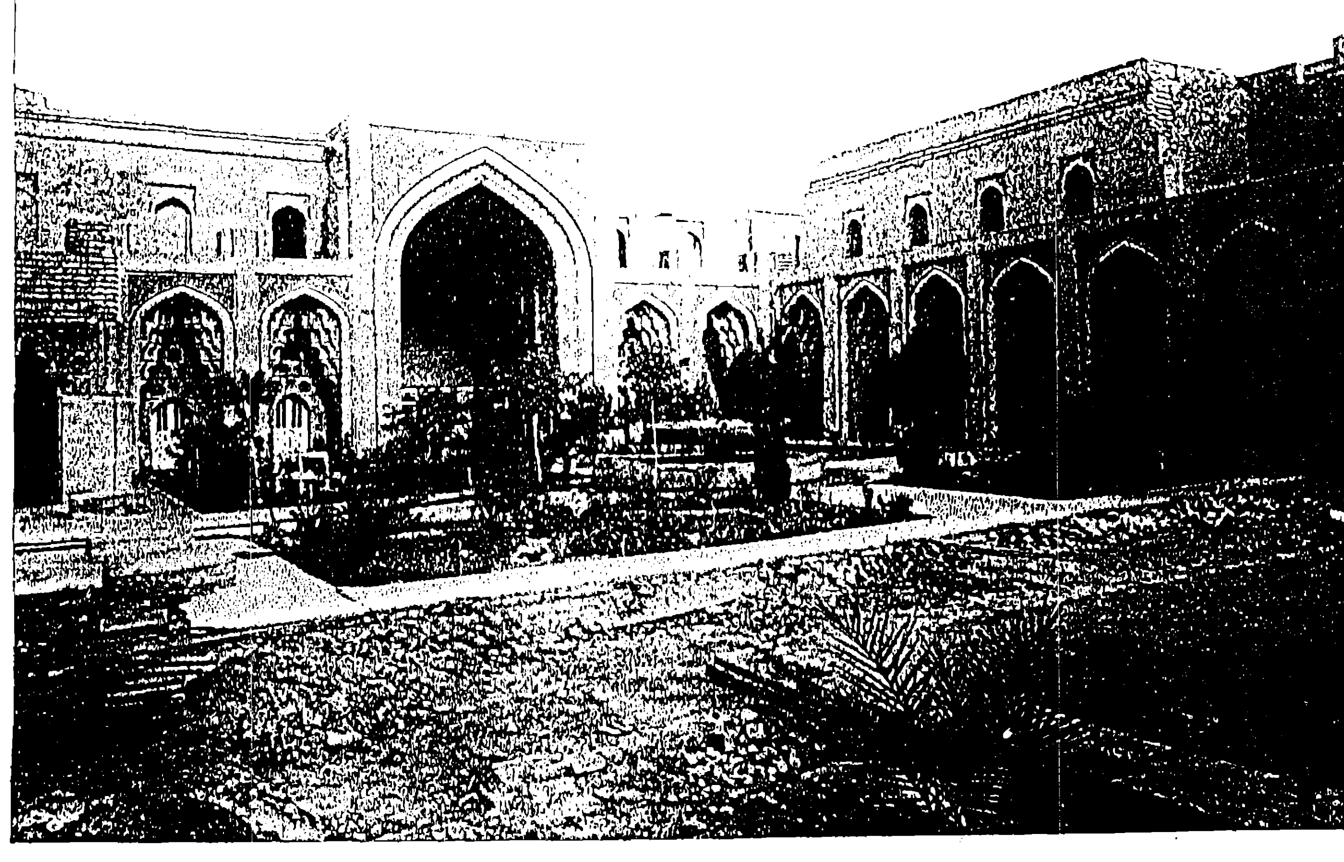
المخلص

مصطفى جواد

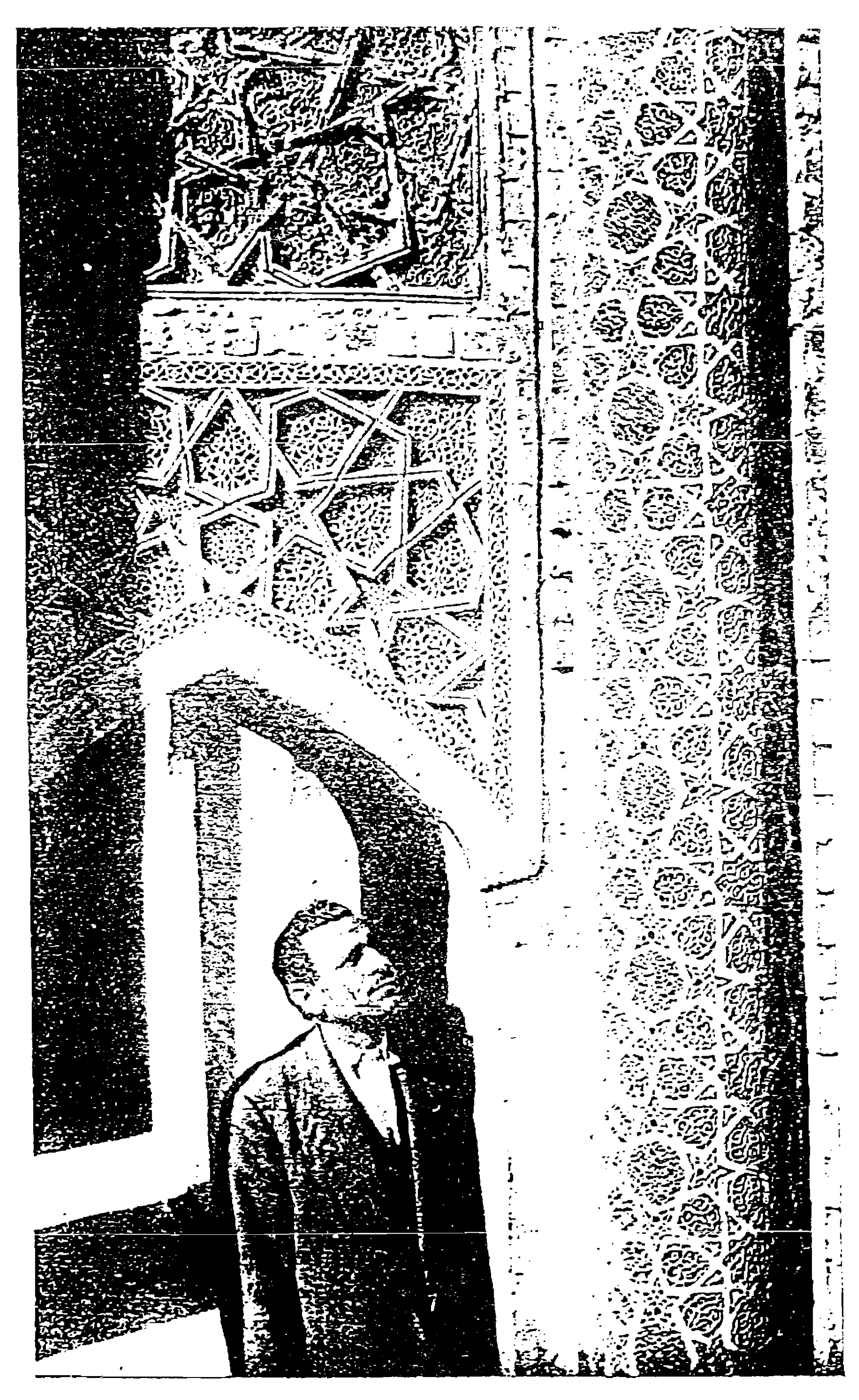
٨/ ١٩٦٨

---

(١) لغة العرب «٨ : ٥٦٩».



القصر العباسي : منظر من الداخل ويرقى زمنه الى عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) واتخذ بعد صيانته متحفا للآثار الاسلامية .



نماذج من الزخارف الآجرية في القصر العباسي

المصـــادر

اولا ــ الكتب

١ــ الأصول الفنية لزخارف القصر العباسي ببغداد .

تأليف : سليمة عبد الرسول . (صدر بمناسبة الاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجري) ــ بغداد ــ ١٩٨٠

٢ــ بقايا القصر العباسي في قلعة بغداد .

اعداد : ساطع الحصري . بغداد ــ ١٩٣٥ .

٣ــ جمهرة المراجع البغدادية .

تأليف : كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي . (صدر بمناسبة الاحتفال ببغداد والكندي) . بغداد ــ ١٩٦٢ .

٤ــ دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق .

اصدرته مديرية الآثار العامة . كتبه عدد من المؤرخين والآثاريين العراقيين . (صدر بمناسبة ذكرى تتويج الملك فيصل الثاني في ١٩٥٣/٥/٢) بغداد ــ ١٩٣٥ .

٥ــ دليل خارطة بغداد المفصل ــ في خطط بغداد قديما وحديثا .

تأليف : الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة . بغداد ــ ١٣٧٨هــ ــ ١٩٥٨م . (من مطبوعات المجمع العلمي العراقي) .

٦ــ دليل معرض القصر العباسي .

اعداد : ساطع الحصري ــ بغداد ــ ١٩٣٥ .

٧ــ مباحث عراقية ــ في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد . (ثلاثة اجزاء) .

تأليف : يعقوب نعوم سركيس . بغداد في ١٩٤٣ــ١٩٥٥ ــ١٩٨٠

٨ـ المدرسة الشرابية .
تأليف : ناجي معروف . بغداد ـ ١٩٦١ .
٩ـ معجم المؤلفين العراقيين . (١٨٠٠ـ١٩٦٩) ثلاثة اجزاء ـ بغداد ـ ١٩٦٩ . تأليف : كوركيس عواد .

ثانيا ـ المجلات والجرائد :

١ـ مجلة التفيض : (اصدرتها هيئة مدارس التفيض في العراق) العدد ـ ٢ لسنة ١٩٤٦.
٢ـ مجلة سومر : (تصدرها مديرية الآثار العامة منذ ١٩٤٥) المجلد ـ ١ ، جـ٢ (١٩٤٥) .
٣ـ مجلة لغة العرب : (اصدرها العلامة الاب انستاس ماري الكرملي في (١٩١١ـ١٩٣١) .
٤ـ جريدة العراق . (البغدادية) .

ثالثا ـ المراجع الاجنبية :

1- A Key List of Archaeological Excavations in IRAQ. By: AL-Haik (Albert).
Vol. I – 1842 – 1965
Vol. II – 1966 – 1971
Florida (U. S. A.) 1963, 1971
2- Guide to the National gallery of pictures [at Baghdad – 1943] .
3- Remains of the Abbasid palace in the Baghdad Citadel – Baghdad – 1935.

The Language of the Child

Prof. Dr. Ahmed Matloub
Member of the Ira cademy of Sciences
Head of Arabic Language and Terminology Departments

Abstract:

Taking care of the child's language start from his first years then deepen and become clearer as the child grows up.

The Arab were interested in the child's language and his education from the beginning of the twentieth century so they composed poetry, wrote plays and books for children.

This research summarizes what the linguistic structures and expressions presented to children ought to be; then set an invitation to taking care of the child's language for a healthy in order to grow up healthily: his language and expressing his intentions easily, accurately and clearly.

Texts from "Lahn AL – Amma" Book
By Abi – Hatim Al – Sajistani
(Collection, Documentation and Study)

Assist. Prof. Dr. Amir Bahir Al – Hiali
Dept. of Arabic, Collage of Basic Education, University of Mosul

Abstract:

This paper is concerned with collecting texts from the lost book of Abi – Hatim Al – Sajistani (255 H.); entitled "Lahn Al – Amma" through the study of Arabic dictionaries and the books of language and grammar, then the documentation of ascribing these texts to this book especially those which do not have an explicit indication to the mistakes of the public. The researcher, therefore, sets special variables to distinguish the texts of this book from the texts of other linguistic books of Abi – Hatim. After subjecting all collected texts to the set variables, 167 texts found to correspond to such variables.

The researcher conducted a study to document the ascription of the book to Abi – Hatim; its title, the

sources of these texts and the variables depended on their documentation before presenting the collected texts, documenting and arranging alphabetically

The collection of these scattered texts in the linguistic books and dictionaries is a good step since it is a humble contribution to the Arabic language which shows the change underwent Arabic vocabularies, their signification, pronunciation and structures during the first, second and mid of the third Hijrate century. And the role of our linguists to face this urgent change and how to deal with it as a linguistic reality imposed by the development of Arab life in all its spheres that maintains the safety of Arabic language by purifying it from the influences that might contaminate it .

The Divine Trinity
In The Ancient Yemenite Mythology

Dr. Jawad M. Al-Mossawi
College of Arts / University of Baghdad

Abstract:

Yemenite in the ancient history had a special concern about planets and stars to an extent that they worshiped them. Their religion was astronomical which was laid on different means from other oriental religions. However, it emerged from local Yemenite beliefs, following those oriental religions.

Yemenites were strongly adhered to their beliefs. The sources mentioned that there were more than sixty temples in "Shabwa" city alone.

Their gods, however, had different names, characteristics or epithets, represented a stellar trinity comprising the moon Al-Maqa (Father), the sun (Mother), and Venus (Son). This trinity represented an overlap of two stages of development of that society.

The moon was worshiped by the mobile pastoral society. It was the closest father to the hearts of

herdsmen since it haunted their imagination more than the scorch sun did. It was their guide at night as they were pasturing their herds under its light. It provided them with relief, gentle wind and dew which gave life in their grass and brought down rain.

As for the sun, it was among the idols of the sedentary agricultural society. It gave plants growth and ripened yields. Venus was worshiped by the pastoral society since it was the illustrative means at desert where in directions overlap at night. It was of vital importance when the moon disappeared and a means of determining time.

Written Narration of Pre-Islamic Poetry

Dr. Abdul Latif Hamoudi Al-Taee
College of Arts, University of Baghdad

Abstract:

The existence of writing dates back to Pre-Islamic age, and though it was well known to some Arab men, leaders, knights as well as poets who were skilled in reading and writing, but those who are concerned with the study of Pre-Islamic Arabic Literature believe that it has reached us through oral narration only. This is not true as there was written narration which contributed in the transference of literature from the pre-Islamic period to the documented poetry collections period and oral narration as well. Unfortunately, written narration did not receive the suitable attention in comparison with the oral narration which was the centre of concern of the critics and narrators. This is due to the fact that most of the narrators did not know reading and writing, as well as its means were not available for the conditions of the wanderer Arab tribes.

Furthermore, the written narration was well documented and beyond any doubt or debate, in contrast to the oral narration which caused many problems to Arabic poetry.

The present study is an attempt at uncovering the written narration and putting it in the suitable position it deserves through studying writing: its tools and manuscripts that give efficient support for the existence of written narration of Pre – Islamic poetry.

The Abbasid Palace in Baghdad Or Dar Al-Mussannat

Salim Al-Alousi

Abstract:

This paper sheds light on a historical problem concerning an Abbasid building situated beside the present Ministry of Defense. It was known as: Al-M'amoon palace, Al-Sharabiyah school, Um Habeeb palace and Dar Al-Mussannat.

Many foreign researchers studied this building, described and wrote about it in their books. In early thirties, many Iraqi researchers, historians and scholars investigated this great antique and traced back its history and the ascribing of it, which we may now judge in the light of controversy that the subject produced.

The most recent of these studies was made by Prof. Dr. Mustafa Jawad supposing that it was built by Al-Nasir (1179-1225 A.D.), as a palace and an Academy of Science, since the caliph established an important library in it.

The problem was reviewed in a T.V. program conducted by the writer in 1968; the idea was rejected by Prof. Dr. Jawad in a letter sent to the writer in which he confirmed that it is Dar Al-Mussanat.

The paper also deals with the opinion of some researchers concerning this subject.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES
Quarterly Journal – Established 1369 H – 1950

Add: ACADEMY OF SCIENCES

P.O. Box 4023 AADAMEA, Baghdad –IRAQ

Tel: 4224202 Fax: (964-1) 4222066

E-mail:iraqacademy@Yahoo.com

- Annual Subscription: In Iraq (4000) I.D.

- Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included.